جوزف رزق الله
سيرة مناضل قومي
(1926 ـ 1970)



جوزف رزق الله
سيرة مناضل قومي

(1926 ـ 1970)

إعـداد
أحمد أصفهاني ـ ناصيف رزق الله

* الكتاب: جوزف رزق الله
سيرة مناضل قومي
(1970 ـ 1926)
* إعداد: أحمد أصفهاني ـ ناصيف رزق الله
* الطبعة الأولى: 2020

التوزيـع: الفرات للنشر والتوزيع
ص. ب: 6435 / 113 بيروت ـ لبنان
هـاتـف: 961 1 750054
فاكـس: 961 1 750053
التوزيع عبر الإنترنت: www.alfurat.com

الإهداء

إلى الوالد والرفيق جوزف رزق الله
وكل الخالدين عطاءً واستشهاداً
في سبيل سورية



المحتويات



المقدمة

صعقني رحيل والدي وأنا حدثٌ لم أناهز الثالثة عشرة في نيسان من سنة 1970.

كنا في قريتنا القصيبة نقضي عطلة الربيع عندما جاء خبر وفاته في السجن بينما نحن ننتظر خروجه من حكم لمدة شهر بتهمة إهانة الدولة وتحقيرها، إذ كانت هذه الدولة مرتعاً لزبانية الشعبة الثانية تلاحق وتعاقب من خلال سيطرتها على الأجهزة الأمنية والعسكرية .

وبدأت تتكشف أمامي حياة والدي القصيرة من خلال المناقشات العائلية حول إجراءات الدفن كما وردت في وصيته. طلب الوالد في وصيته عدم مشاركة أي كاهن أو القيام بأي مراسم دينية. وأذكر مساندة عمي سامي، ولكن "الأغلبية العائلية" قررت دعوة أحد الكهنة للصلاة في بيت العائلة. أما طلب الوالد لف نعشه بعلم الزوبعة فقد رفضته القيادة الحزبية لأنه لم يعتبر شهيداً حينذاك. بالمقابل أذكر مأتماً حزبياً وقد اصطف الرفقاء على الجانبين من البوابة الخارجية إلى الدار، ثم دخل الجميع لتأدية التحية أمام الجثمان. راقبت هذه الإجراءات واطلعت على المهرجان الخطابي في أكبر ساحات القرية، حيث خطب الأمين كامل حسان ثم تلاه الأمين عبدالله سعادة وأطلق قوله الشهير الذي ما زالت أصداؤه تتردد في ذهني: "كنت كالقاموس عندما نختلف نرجع إليك". وقد نشرت صحيفة "صوت برمانا" وقائع هذا المهرجان الخطابي.

تدريجياً، تجلت لي الأسباب وراء هذا المأتم المميز وما جرى خلاله. فقد بدأت صحيفة "البناء" في السبعينات تنشر مقتطفات مختصرة بقلم الأمين لبيب

ناصيف عن مرحلة العمل السري في حقبة ما بعد الثورة الانقلابية، ودور الوالد كمفوض عام للبنان وانتقال قيادة الحزب إلى عمان. عندها أدركت ما كنت أجهله من حياة والدي خلال وجوده معنا وغيابه المتكرر عن المنزل وإيابه في ساعات متأخرة غالباً بعد موعد نومنا. كما أدركت سبب الغزوات الأمنية لمنزلنا سواء في فرن الشباك أو عين الرمانة أو الشياح، حيث ما زلت أتذكر قرع الباب وتقدم آمر فرقة الغزو ليعَرفنا على مختار المحلة حسب القانون ليدخل أفراد الفرقة ويعيثوا بالبيت تكسيراً وخراباً تحت مسمى البحث عن الممنوعات الحزبية! وما زالت تلك "الممنوعات" إضافة لسيفين سلبا من منزل العائلة في القصيبة ومسجلة وسواها في وزارة الدفاع اللبنانية. وأدركت أيضاً ما يكمن وراء احترام الرفقاء للوالد ومهابته، وسريان الأمر على الأصدقاء لا بل وعلى الخصوم في نطاق قريتنا وأينما حللنا. كذلك استنتجت سبب ترك الوالد السيارة عندما كنا نتوجه إلى دمشق ليقطع حد المصنع وحد جديدة يابوس سيراً على القدمين وراء أبنية الأمن العام بينما نحن ننتظره في السيارة.

عُرف الوالد بصرامته ونظاميته ودقته، وانعكس ذلك على تربيتنا. فزوار منزلنا في القصيبة لن ينسوا البرنامج اليومي لأيام الصيف المعلق على مدخل البيت، وقد استشار بشأنه طبياً الدكتور عبدالله سعادة عندما التقيا في إحدى فترات الأسر حيث فُرض علينا النهوض عند الساعة الرابعة صباحاً لنبدأ العمل في الحديقة الساعة الرابعة والربع، ونعمل لغاية الظهر في الزراعة ورش المبيدات والتخلص من الأعشاب الضارة، إلى التحطيب وتنقية الصنوبر من الأكواز وغيرها من الأعمال التي علمتنا الالتصاق بالأرض. كانت هذه الأشغال ملجأه عند ابتعاده عن المسؤوليات الحزبية أو بالأحرى استبعاده على يد من جاء بعده من مسؤولين وحتى مع قياديي الانقلاب. وقد استمر الاستبعاد بعد فك أسرهم وصولاً إلى مؤتمر ملكارت حيث توافق هؤلاء مع أولئك على استبعاده من المؤتمر رغم جهده الجبار في إحياء العمل الحزبي بعد فشل الانقلاب مباشرةً ولغاية تشرين الثاني سنة 1964.

ورغم جهلنا لدور الوالد خلال تلك الحقبة، كانت تلمع أمامنا شذرات من

تاريخه مثل تجنبه الأسر مرات عدة. فتارة يدخل رجال الأمن من أحد أبواب بيت القصيبة ليجدوا الفراش ساخناً بينما هو قد خرج من الباب الآخر ليبيت ليلته في "المقصبية" وهي تجمع للقصب قرب نبع ماء. وطوراً يسأله رجال الأمن العام عن منزل جوزف رزق الله فيدلهم ويغادر دون أن يعرفوه. وحيناً يتخفى في منزل عُلقت على جدار مدخله صورة كاهن هو شقيق صاحب البيت، فيستنكف ضابط الجيش عن البحث في هكذا بيت! ومرة يهمس في أذن ضابط على حاجز عسكري أنه يحمل مسدساً فيتعجب الضابط لجرأته ويتركه يمر مع سلاحه. هذا إلى جانب اجتيازه الحدود اللبنانية الشامية مرات عدة مشياً بالثلوج كما سيرد لاحقاً. ورغم هذا الحرص في العمل السري فسجل حياته النضالية يوثق أحد عشر اعتقالاً عدا عن الاستدعاءات القضائية في الثورة الأولى سنة 1949 وحتى الوفاة سنة 1970. هذا الكم الهائل من النضال والنشاط، رغم قصر عمره، حفز أختي جيزيل التي لازمت عمله الحزبي في الستينات وشاركت في الرحلات إلى عمان والضفة الغربية، كما حفزني أنا أيضاً، لمراجعة ما تركه من مستندات حزبية وتاريخ حزبي من أجل العمل على توثيق هذه المستندات مع تاريخه في كتاب ينير ويضيء حياة صاحبه .

بعد خمسة عقود على رحيل الوالد وغياب كثيرين ممن شاركوا أو ساعدوا، لجأنا بالإضافة إلى المستندات الموجودة لمقابلة الأمناء والرفقاء الأحياء لمواكبة مستندات الكتاب بمرويات نشاطاتهم ونضالهم مع الوالد، ونقدر إفاداتهم كما وردت في هذا الكتاب. كذلك ننوه بمن ساهم في العمل الحزبي وبذل مجهودات أساسية أرست قواعد النجاح بعد الانقلاب لكنهم غادرونا باكراً كالرفيقين وجيه نبا وفؤاد نعيمة اللذين رافقا الوالد في أمسيات عديدة. ونتذكر دائماً الأمين شفيق راشد الملازم الدائم خلال سنوات العمل السري إلى حين هجرته إلى كندا ورحيله في نهايات القرن الماضي. كما نتذكر الرفيق ملحم غاوي الناشط في تلك المرحلة العصيبة حتى مغادرته إلى أفريقيا ورحيله باكراً، والعديد من الرفيقات وزوجات الأسرى وعلى رأسهم الرفيقة الراحلة أديبة غانم.

ولا يسعنا سوى ذكر جهد الأمين لبيب ناصيف في الإضاءة على فترة العمل

السري بعد الانقلاب، وتدوين إنجازاتها، وحمل ملفاتها للمجلس الأعلى حتى صدور قرار المجلس الأعلى سنة 2005 باعتبار الرفيق جوزف رزق الله شهيداً للحزب السوري القومي الاجتماعي. وأخيراً وليس آخراً نقدر اندفاع الأمين أحمد أصفهاني للمساعدة في تحرير وإصدار هذا الكتاب، ونتقدم منه كعائلة جوزف رزق الله بالشكر والامتنان.

ناصيف رزق الله

تمهيد

تعتمد هذه السيرة الموجزة للرفيق جوزف رزق الله على مصادر عدة، أهمها رسالة رفعها سنة 1956 إلى عمدة الثقافة في الحزب السوري القومي الاجتماعي تتضمن تفاصيل عن المراحل المبكرة من حياته العاصفة. وكان من الطبيعي أن نستكمل المراحل التالية من خلال لقاءات مع رفقاء شاركوه العمل الحزبي السري في فترة الستينات. لكن غالبية هؤلاء إما غيبهم الموت، أو ضعفت ذاكرتهم بعد مرور أكثر من نصف قرن على تلك الأحداث. ومع ذلك تمكنا، رغم الصعوبات، من الحصول على مرويات رفقاء ناضلوا مع الرفيق جوزف في أدق الظروف الحزبية وأصعبها. يضاف إلى ذلك معلومات متناثرة حصلنا عليها من بعض الأقرباء، وكذلك من الوثائق الخطية التي حافظت عليها العائلة. وهذه المرويات غير كاملة، وتنقصها التفاصيل الدقيقة، إلا أنها تقدم لنا صورة معبّرة عن حياة مناضل حزبي تولى مسؤوليات رفيعة في واحدة من أدق المراحل التي مرّ بها الحزب السوري القومي الاجتماعي في تاريخه.

نبذة عائلية

ولد جوزف رزق الله في آذار من سنة 1926 لأبوين يقطنان في منطقة الأشرفية . بيروت. وكان والده ناصيف أكبر إخوته وقد شهد أهوال الحرب العالمية الأولى عندما ذهب والده إلى حوران لجلب القمح حيث اختفى هناك. يُضاف إلى ذلك سوء الأوضاع الاقتصادية في قريته القصيبة في بداية القرن العشرين. وتقع هذه القرية على منحدر في منطقة المتن الأعلى، ويفصلها عن الساحل وبيروت وادي الجعماني ووادي لامارتين وهما الرافدان الأساسيان لنهر بيروت.

سئم ناصيف حياته المتواضعة القائمة على الاعتناء بالأرض والتحطيب لإنتاج الكلس الذي كان ضرورياً لعمليات البناء قبل وصول الإسمنت إلى تلك الأنحاء، فغادر قريته متوجهاً إلى بيروت. وكان من حسن حظه أن يتعرف إلى عائلة النجار الميسورة التي تملك العديد من المؤسسات. فتدرج في العمل، واجتهد في تعليم نفسه خصوصاً اللغة الفرنسية مع بداية الانتداب الفرنسي. وترقى في عمله واستلم أولاً إدارة قهوة نجار في وسط بيروت، ثم تولى منصب مدير شركة كهرباء صوفر وتوابعها وكانت امتيازاً خاصاً لآل النجار.

إقتنى ناصيف بيتاً وسيعاً في حي الناصرة بمنطقة الأشرفية مع حديقة وأرض زراعية تصل حتى مستشفى رزق. ثم تزوج من أليس الجمال القادمة مع عائلتها من منطقة البترون والقاطنة في بيروت. وأدى يسر الحال إلى وجود العديد من المدبرات والمساعدات المنزليات، وتأسيس عائلة كبيرة. فأنجبت أليس سبعة أولاد هم ثلاث بنات، ثم جوزف، ثم بنت رابعة، وصبيان آخران، سُمي الأخير سامي وهو من مواليد سنة 1938. وقد إنضم إلى مسيرة أخيه الأكبر جوزف في

الحزب السوري القومي الاجتماعي بعمر أربعة عشر عاماً بعد أن حصل على إذن خاص لقسم اليمين.

لم تعرف العائلة التعصب الديني، فقد أقام الوالد ناصيف علاقات وثيقة تخترق الحواجز الطائفية مع سكان صوفر والقرى المحيطة، وكذلك في المتن الأعلى. وتزوجت إبنته الرابعة شخصاً من دين مختلف. غير أن مدارس الأولاد في تلك الحقبة في عبرين والحكمة واليسوعية كانت تابعة أو موجهة من قبل الإكليروس المسيحي (الماروني خاصة). أما أليس فكانت فرنسية الهوى خلال فترة الانتداب الفرنسي، ولطالما رددت عبارة vive la France عند إنجاب البنات لأن نيتها تزويجهن من فرنسيين. وبالفعل نجحت في ذلك، إذ اختارت البنات الكبريات الثلاث الزواج من أفراد في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية.

تحمّل الوالد ناصيف مصاريف العائلة الكبرى التي اشتملت أيضاً على الأزواج الفرنسيين. ونتيجة لذلك فاقت المصاريف المدخول. وبدأ ناصيف ببيع الأراضي في الناصرة. واستدان من مرابي يهودي من عائلة الأظن مبلغ 2000 ليرة لدعم بناته وعائلاتهن بعد سفرهن إلى فرنسا في أعقاب انتهاء الحرب. وعندما تضاعف المبلغ أكثر من عشر مرات، تم بيع البيت بالناصرة فأضحت العائلة تقطن البيت نفسه بالإيجار. ولكن ناصيف رفض بإصرار بيع أي من ممتلكاته في قريته القصيبة، بما فيها بيت العائلة الذي بناه سنة 1932.

وتجدر الإشارة إلى أنه في مناسبة خطبة الرفيق إدمون الحايك، الذي سيأتي ذكره لاحقاً في ظروف إنتماء جوزف إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي، من إحدى قريبات عائلة رزق الله، قام الزعيم أنطون سعاده بزيارة العائلة حيث تمت الخطوبة بوجوده. وقد استنفرت الناصرة كلها للتعرف على الزعيم بعد حوالي السنة من عودته من المغترب القسري.

إجمالاً، عرفت العائلة حياة رغيدة حيث كان لها مصيفان دائمان في صوفر وفي القصيبة، إضافة إلى المنزل في الناصرة. وفي هذه الأجواء ترعرع جوزف، وتلقى دروسه الأولى بمدرسة الحكمة وانضم لتشكيلة الكتائب اللبنانية سنة 1937

كما سيأتي لاحقاً. وبعد بلوغه الرابعة عشرة بدأت علامات التمرد تظهر عليه، خاصة تجاه والدته. وما لبث أن غادر البيت والمدرسة قبل استحواذه على الشهادة المتوسطة ليلتحق بالجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية.

قام الجيش الفرنسي بتدريب جوزف على سلاح الإشارة من اتصالات ولاسلكي وتنصت، ثم ألحق بمعسكرات الجزيرة (القامشلي والحسكة). ولا توجد مستندات تكشف تفاصيل المدة التي قضاها في الجيش، سوى أنه سُرّح من الجيش بعد الشك بتخابره مع الألمان. لكن خبرته هذه ستؤهله لاحقاً لاقتراحه مسؤولاً عن الاتصالات في الميليشيا القومية، ومن ثم العمل التجاري في راديو أوريون (أوجيرو حالياً).

وعلى مقربة من بيت عائلة ناصيف في الناصرة قطنت عائلة يعقوب اللاتي التي كانت تقيم سابقاً في عكا. انتقل يعقوب إلى لبنان، وسكن أولاً في كركول العبد وسط بيروت ثم اشترى منزلاً في الناصرة لعائلته المكونة من سبعة أولاد. إلا أنه لم يعمّر طويلاً، وبعد مماته استلم الإبن الأكبر إيلي إدارة شؤون العائلة، وكان زميلاً لجوزف في نفس النقطة الكتائبية في الناصرة. وبحكم الجيرة والزمالة في الكتائب، تعرف جوزف على عائلة اللاتي ومنهم ليلى أخت إيلي ما أدى إلى نشوء علاقة تطورت إلى زواج مبكر، وجوزف لم يبلغ التاسعة عشرة من العمر.

استقرت العائلة الجديدة الناشئة في ملحق لمنزل عائلة اللاتي. وأنجبت ليلى أول ولد لم يعمر سوى ثمانية أشهر بعد إصابته بحمى شديدة. وبعد سنتين ولدت جيزيل في أيلول 1947. لكن الخلافات كانت قد دبت بين إيلي الكتائبي المتحمس وبين جوزف الذي كان قد ابتعد عن الكتائب وأقسم يمين الانتماء إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي، كما سيأتي في رسالته إلى عمدة الثقافة.

ونختتم هذه النبذة بملامح عنه كانت مؤثرة في مسيرة حياته بقلم ابنته جيزيل:

لست أدري عمن أتكلم، أهو الوالد أو الصديق أو الرفيق القدوة؟ الحق يُقال إن جوزف رزق الله كان كل هؤلاء بالنسبة لي .

إن فهم العقيدة والإيمان بها لا يكفيان إطلاقاً إذا لم يستندا للتجسيد

والممارسة. وهذا ما طبقه الوالد والتزم به طيلة حياته القصيرة بالسنوات والغنية بالانجازات .

بحكم عمري المتقدم عن إخوتي، فقد رافقته وعملت معه أكثر وكنت إلى جانبه في الحلقات الإذاعية في عدة قرى وأنا لم أتجاوز العاشرة من عمري. وفي كل فترات السجن المتتالية كنت ألحق به من سجن إلى آخر من المحكمة العسكرية إلى بعبدا إلى الكرنتينا حيث كان يقوم بفحوصات طبية .

لن أتكلم عن الوالد، فهو قد ترك كثيراً من الكتابات والردود والوثائق التي تغني وتفيد. بل أريد أن أعطي فكرة عن مبلغ نشاطه وديناميكيته والإفادة من كل دقيقة في حياته. وأنا لا أبالغ إطلاقاً، فقد عرفه كثيرون وعملوا معه عن قرب .

يصعب تعداد نشاطاته، فهي فعلاً لا تعد ولا تحصى، وهذه من أبرز مميزاته. فقد اجتهد في تعليم نفسه، فأجاد الفرنسية والإنكليزية قراءة وكتابة عدا عن العربية. ثقافته غير محدودة، فكان على اطلاع تام بالتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة لنحسبه حاصلاً على شهادات عليا في هذه المجالات. لم يدرس المحاسبة يوماً، ولكن بفضل اجتهاده ومثابرته أصبح خبيراً بالمحاسبة، بداية في شركة كهرباء صوفر مع والده ثم عمله في عدة شركات بدوام كامل نهاراً وعمل إضافي ليلاً. أهم ما يوصف به الديناميكية في شخصيته إذ لم يكن ليترك ثانية من وقته دون استغلالها.

كان يبدأ نهاره فجراً بالاهتمام بالحديقة في القرية. وعند الساعة السابعة صباحاً يتوجه إلى بيروت للعمل بدوام كامل. ومن ثم مساءً بالمحاسبة لشركات أكثرها ملك رفقاء لنا كمحطة نديم جواد عدره في شكا ومحلات فرح وجريديني وبترو الحاج وغير ذلك لتغطية نفقات العائلة .

كان يكتب ويوثق ويرد على كل جملة تطال الحزب في المجلات والصحف، عدا عن اهتمامه الحزبي اليومي ومتابعة كل من تعرف عليهم في السجون المتتابعة وملاحقة أوضاعهم. وهذا الأمر موثق في رسائل متبادلة بينه وبينهم في السجن .

وفي أيام الشدة بعد الانقلاب لم يتوانَ عن متابعة شؤون قريته القصيبة.

فعندما تقرر انتخاب أول مجلس بلدي للقرية سنة 1962، اجتمعت عائلات الضيعة بفروعها وأصدرت لائحة "توافقية" من تسعة أشخاص، فردّ عليها بلائحة غير مكتملة من خمسة أشخاص بينهم امرأة في خطوة واضحة تتحدى الأمر المفروض خارج التعبير الديموقراطي لأهالي الضيعة... حتى لو لم يحالفها النجاح .

وكان يتابع تعليم الأولاد بالتفصيل الممل، ويراسل إدارات المدارس في كل شاردة وواردة انطلاقاً من إيمانه العقائدي وحافزه في نشر مفاهيم النهضة. فمثلاً فرض على إدارة مدرسة الهدى في عين الرمانة سنة 1964 إخراج ولديه سعادة وناصيف من صف الدرس الديني المسيحي طوال السنة الدراسية، والذي كان إلزامياً حتى للطلاب من مذاهب مختلفة. ومن اهتماماته أيضاً جمع الطوابع والعمل عليها باتقان وحفظها في مجلدات. كما بذل الوقت والجهد والتنقل بين المناطق لإيجاد مستندات حزبية مفقودة، وللعثور على الأعداد الضائعة من "النظام الجديد" و"الجيل الجديد" وغيرهما من الدوريات الحزبية كجريدة "البناء". وعمد إلى حفظ المطبوعات بعد تجليدها. وبعد الثورة الانقلابية وما تلاها من محاكمات، بادر إلى حفظ وتجليد أعداد صحيفة "النهار" التي غطت المحاكمات. وهي الآن في متناول الباحثين الذين يرجعون إليها في دراساتهم.

السيرة في مرويات ووثائق

صادرة جوزف رزق الله إلى عمدة الثقافة

منفذية بيروت العامة　　　　　　　　إلى عمدة الثقافة الموقرة

قطاع تدمر

جوزف رزق الله

حضرة العميد المحترم

تحية سورية قومية اجتماعية

تقولون في صادرة لكم إنكم تعتزمون تأليف كتاب عن تاريخ الحزب. وقد قُرئت علينا هذه الصادرة في اجتماع زمرتنا الأخير من قبل رئيس الزمرة بالوكالة. بناء عليه أعلق على هذه الصادرة فأقول إن من لم يتحمل مسؤوليات مركزية شاملة من القوميين الاجتماعيين لا يستطيع أن يساعدكم في وضع معلومات عامة تحت تصرفكم، وأنا منهم. ولكن إذا أراد كل رفيق أن يسجل هو بنفسه المراحل التي مرَ بها قبل وبعد انتمائه إلى الحركة القومية الاجتماعية فإنكم تستطيعون أن تكتبوا تاريخين في كتاب واحد: تاريخ المجتمع السوري المفكك الأوصال قبل نشوء الحركة السورية القومية الاجتماعية وتاريخ الحزب بعد إنشاء هذه الحركة المحيية من قبل سعاده العظيم. بناء عليه، أرسل لكم كل ما أعرفه أنا عن الحزب من خلال درسي إياه قبل انتمائي إليه ومن خلال ممارستي لعضويتي بعد انتمائي هذا.

بين سنة 1935 وسنة 1947

كنت طالباً في مدرسة الحكمة، ولم أكن أسمع ألا بضجيج الشباب الذي تثيره أحزاب الكتائب اللبنانية والنجادة وحزب الوحدة اللبنانية. ولكن في إحدى هذه السنوات، رجع من فرصة عيد الميلاد صديق مدرسة لي يدعى سيمون كرم من قريته حامات في الكورة، وأخبرنا أن في قريته حركة سياسية جديدة تدعى الحزب السوري القومي الاجتماعي، وأن معلم المدرسة هناك يلقن مبادىء هذا الحزب للتلاميذ خارج ساعات الدرس لأن وجهاء القرية وكاهن رعيتها ورئيس المخفر المجاور غير راضين عن نشوء هذه الحركة.

مرّت هذه القصة علينا مروراً عابراً لأن سننا لم تكن لتستوعب هذه القضية، ولأن الكتائب اللبنانية كانت تستهوينا أكثر من غيرها. وبالفعل أوقفنا مدرَس الرياضة في المدرسة جوزيف خوري بالصف ووزع علينا الشارة الكتائبية. وبعد أن أخذ من كل واحد منا نصف ليرة، جلب لنا بعد يومين بطاقات انتساب. وهكذا بقيت في هذه المنظمة الطائفية من 1937 إلى 1947. وفي السنتين الأخيرتين تألمت نفسياً من وجودي في الكتائب اللبنانية لأنني تخلصت من الطائفية في نفسي، وحاولت فرض آرائي التقدمية، فكان نصيبي الاضطهاد [كلمات ناقصة في الأصل].

بين سنة 1945 وسنة 1947

في أوائل 1945 تزوجت. وكان لشقيق زوجتي صديق يدعى إدمون حايك. وبحكم صداقته لأهل زوجتي جاء يهنئني. وعند انتهاء الزيارة ترك كراساً للمبادىء القومية الاجتماعية طالباً مني درسه والرجوع إليه عند الحاجة. درست الكراس وأعجبني بعضه ولم يعجبني بعضه الآخر، أو بالأحرى لم أفهمه. أما الناحية التي أشكلت عليّ فهي الناحية الاقتصادية. ومما ساعدني على شرودي عنها مقال للرفيق غسان تويني يُفهم منه أن العامل في النظام القومي الاجتماعي هو آلة صماء فحسب.

وقضيت تلك السنوات الثلاث في الاجتماع بالقوميين الاجتماعيين ومباحثتهم ومناقشتهم وكتابة تقارير انتقاد وإعجاب عنهم وعن حزبهم للمراجع الكتائبية. ولكن بقدر ما كنت أتعمق بعلاقتي معهم، بت أشعر بأن إعجابي يزداد بهم

وانتقاداتي واعتراضاتي تنهار الواحدة بعد الأخرى. وأما الذي يعود له الفضل الأكبر في إيقاظي ودفعي إلى الحركة القومية الاجتماعية فهو الرفيق إدمون حايك، ويليه بترتيب الأهمية كل من: الرفيق إلياس سمعان والأمين إسكندر شاوي والرفيق فريد مبارك والمطرود نعمة ثابت والمطرود فايز الصايغ والرفيق وديع الأشقر. ولم أعد أذكر غيرهم.

وأخذت أطالع جريدة الحزب، ثم اشتركت بمجلة الثقافة التي كانت تصدر عن عمدة الثقافة. وأني أعترف أن هذه المجلة أبعدتني عن الحزب وأخّرت نوعاً ما إنتمائي إليه. فقد كنت أخشى أن تكون آراء فايز الصايغ وغسان التويني هي آراء الحزب. فقد كانت تلك الآراء فردية وبعيدة كل البعد عن كراس المبادىء الذي أعطاني إياه الرفيق إدمون. ولكن هذا الرفيق بدّد مخاوفي قائلاً لي إن الحزب لن يرتبط في المستقبل إلا بالمبادىء المعلنة والمشروحة من قبل الزعيم.

وقد كنت لم أزل كتائبياً عندما حضرت "يوم الإصلاح" في ضهور الشوير بدعوة من الرفيق حايك، وبإذن من منفذية بيروت العامة. وكادت الشارة الكتائبية على سترتي أن تخلق لي مشاكل مع بعض قوميي بيروت الذين اعتقدوا أنني أرافقهم للتجسس عليهم. ولكن الرفيق حايك أعاد الأمور إلى نصابها، وعاملني القوميون معاملة حسنة إن في بيت مري حيث تناولنا الطعام واسترحنا أو في ضهور الشوير نفسها حيث أعطوني كرسياً بين المدعوين.

ولما كنتُ قد قضيت هذه السنوات الثلاث في النضال النقابي لتحسين أحوال موظفي وعمال شركة راديو أوريان التي كنت أعمل فيها لاسلكياً، فقد تشبعت درساً واستقصاء لآراء الحزب الاقتصادية، لأن الشيوعيين [كلمات ناقصة في الأصل].

سنة 1948

في الشهر الأول من هذه السنة تقدمت باستقالتي إلى رئيس الكتائب اللبنانية، مبيناً الأسباب التي حدت بي إلى هذا القرار. وقابلت الكتائب انسحابي منها بجملة إشاعات مغرضة في الأشرفية. وحاول بعض الكتائبيين مراراً عديدة الاعتداء عليّ. وفي أوائل هذه السنة نفسها دبّ خلاف قوي بيني وبين زوجتي.

ولما كان شقيقها كتائبياً وأنا أنتمي إلى الحزب القومي الاجتماعي، فقد تبنت الكتائب هذا الخلاف وأوكلت لزوجتي أربعة محامين منهم أمين سرها العام جوزيف شادر. وظلت الكتائب تلاحقني بما لها من نفوذ وساومتني على عقيدتي الجديدة، وتمكنت من سجني مرتين بتدخلاتها لدى الديوان الاَسقفي الماروني في بيروت والنيابة العامة الاستئنافية. هذا كان موقف الكتائب مني.

والآن يطيب لي أن أسرد موقف الزعيم من قضيتي العائلية هذه. فبعد أن انتميت إلى الحزب في نيسان من السنة نفسها، وعلم الزعيم بالنكبة العائلية التي أصبت بها، أبدى عطفه عليّ أمام الرفيق نقولا بردويل. وأعتقد أنه أرسل الرفيق عبدو زينون، الذي كان ناموساً أو مذيعاً في "مديرية الإقدام" التي ألحقت بها فور إتمام مراسيم انتمائي، إلى زوجتي في محاولة لإصلاح ذات البين بينها وبيني. وكان لهذه البادرة تأثير كبير على نفسي وعلى أهلي، في حين كانت الكتائب توسع شقة الخلاف بيني وبين زوجتي، وتحاربني بأقدس العواطف العائلية ألا وهي الأبوة، إذ كنت قد رزقت طفلة قبل خلافنا بثلاثة أشهر. فقد حاول زعيمي الخالد مساعدتي في قضية شخصية بحتة.

وفي هذه السنة كلفني عميد الداخلية وقتذاك الأمين إلياس جرجي قنيزح بتنظيم الدعاية لإدخال القوميين في مطار بيروت السابق. وقمت بعملي خير قيام باستثناء التأخير الذي لاحظته عليّ العمدة في تقديم تقاريري الدورية بمواعيدها.

وعندما بدأت حركة الإدخال في المطار تأخذ شكلاً واسعاً، قام خصوم الحركة يحاربونني محاربة لا هوادة فيها، وعلى رأسهم الفرنسي Marcel Turpin رئيس مصلحة الأمن الجوي في مديرية المواصلات الجوية وأحد أنصار كارل ماركس المتحمسين. فأخذت التقارير تكتب بحقي للمديرية، وتلفّق تهماً كاذبة أو تلصق مخالفات كان يقذفها بحقي مواطن يدعى جوزيف جورج رزق الله. فلم يسعْ أحمد الأسعد وزير الأشغال العامة وقتذاك إلا إصدار قرار بفصلي عن العمل. لكنه عاد وأصدر قراراً بإرجاعي للوظيفة. غير أن هذا القرار لم ينفذ لرفض [كلمات ناقصة في الأصل].

سنة 1949

بعد صرفي من الوظيفة اللاسلكية في المطار، بقيت عاطلاً عن العمل مدة من الزمن ساعدتني على تحمل مسؤوليات حزبية عديدة. فقد عُينت ناموساً لمديرية النصر المعاد تشكيلها. والواقع أنني مارست جميع المسؤوليات في هيئة المديرية لأن المدير (س. ق.) لم يكن يصلح لتولي مسؤولية المدير. فقد كان متعصباً لمسيحيته وشديد الإعجاب بالحركة الماسونية التي تتنافى وتعاليم حركتنا. وأما مذيع المديرية الرفيق خضر عضاضة فلم يكن يقوم بواجباته ولا يحضر اجتماعات ولا جلسات ولا يدفع إشتراكاته. وقد استدعته هيئة المنفذية مرتين للتحقيق معه، فحضر مرة وتغيب أخرى. وكنت أساعد المحصل في التحصيل، بحيث يمكنني القول إن المحصل الرفيق رفيق كرامي لم يكن يعرف من المديرية غير المدير وأنا.

ثم بانتقالي إلى وظيفة مدير ثم محاسب أمين سر مصح ضهر الباشق، كلفت من قبل عمدة الداخلية بتنظيم منطقة رومية المتن وإعادة تشكيل مديرية الفرات في المصح نفسه. وفي هذا المصح أدركت خطر الشيوعية بأبشع مظاهره، إذ أنني خضت ورفقائي من عمال ومرضى قوميين معركة عنيفة ضد الشيوعية المتحالفة مع اليهود والكتائبيين. وسرعان ما علمت أن المصح يضم كبار الشيوعيين العراقيين الفارين من العراق والمحكومين فيه أحكاماً مختلفة. ورغم شفائهم لا يزالون يسرحون ويمرحون في المصح. وتبيّن لي أيضاً أن طبيب المصح المناوب الدائم الدكتور يعقوب، وهو يهودي من الموصل، هو الذي يغطي إبقاء هؤلاء اليهود فلا يقدمهم إلى رئيس الطبابة ليتقرر شفاؤهم وبالتالي إخراجهم من المصح، ولا يُعلم المفوضية العراقية عن شفائهم.

ومن خلال معرفتي بهذه النقطة، وصلت إلى نقطة أخرى لا تقل عنها خطراً ومغزى: فقد كان الطبيب فؤاد غصن يشرف على المرضى العراقيين في جميع المصحات اللبنانية، ولاحظت أنه يتجاهل بقاء الشيوعيين منهم رغم شفائهم في لبنان. وفي حديث لي معه تبيّن أن ماسونيته تدفعه إلى هذا التواطؤ الإجرامي بحجة الدافع الإنساني في الإخاء والحرية والمساواة. ولكن نشاطي القومي وطردي لبعض الشيوعيين الخطرين من المصح، ونقل بعضهم الآخر إلى مصح

إبن النفيس الشامي بحجة السعة، فتح عليّ العيون. وسيطر الخصوم على مديرة المصح وهي سيدة حلبية متفرنسة تدعى ليديا شار، وأخذوا يعملون لقلعي من وظيفتي [كلمات ناقصة في الأصل]. فأرسلوا تقارير إلى رئيس جمعية مقاومة السل والتدرن الرئوي اللبنانية. السورية الرجعي كبرييل طراد، وإلى الهلال الأحمر العراقي والصليب الأحمر اللبناني ووزيري الصحة في كل من لبنان والعراق وإلى المنظمة الصحية الدولية التابعة للأمم المتحدة يقولون عني إنني فاشستي، وبسببي توفي مريضان على قارعة الطريق بعد أن طردتهما من المصح.

وتطورت الحوادث بشكل خطر. ففي إحدى الليالي قام شيوعي عراقي يدعى السيد محسن السيد حيدر يحمل خنجراً، وفي طريقه إلى غرفتي اصطدم بطاولة كرة الطاولة ولم يستطع أن يقضي علي. وبعد أسبوع، وبينما كنت خارجاً من المفوضية العراقية، حاول شيوعيان عراقيان القضاء علي. ولكنني رجعت بسرعة إلى مبنى المفوضية أحتمي فيها. وعلمت في ما بعد أن أحدهما يدعى محسن جمال الدين، وهو من أخطر الإرهابيين العراقيين الشيوعيين ومحكوم بالإعدام غيابياً. فطاردته حتى توفقت به في غرفة من فندق مغمور في سوق الغرب وطلبت مساعدة رئيس المخفر فرفض التدخل. وعدت أدراجي، وأعلمت عمدة الداخلية بهذه القضية فلاحقتها لدى دائرة الأمن العام دون جدوى.

وفي أواخر أيار قابلت الزعيم، وطلبت إعفائي من بعض المسؤوليات والواجبات العسكرية التي كنت أقوم بها في عمدة التدريب. وتركت لبنان سراً إلى القامشلي لأن خلافي مع زوجتي ومع الذين كانوا يساندونها، وإهمالي حضور الجلسات والدفاع عن نفسي أديا إلى استصدار قرار حبس بحقي. وفي هذا الهرب ساعدني الرفيق زكي ناصيف بمبلغ خمسين ليرة لم أرجعه له إلا في سنة 1953. واستقبلني الرفيق زكي نظام الدين في القامشلي في منزله. وكنت في أحد مقاهي القامشلي مع بعض الرفقاء عندما سمعنا بحادثة الجميزة. ولكي أحمّس الرفقاء لمساعدة رفقائهم في لبنان، شرحت لهم بعض ما أعرف عمّا كنت أعتقد أنه قوة عسكرية في الحزب. وبعد أن قام بعض الرفقاء بجمع مبالغ من المال للتسلح، قدّم القسم الأكبر منها الرفيق زكي، تهيئنا للسفر إلى دمشق

لوضع أنفسنا تحت تصرف القيادة القومية في هذا الظرف العصيب. أما أنا فقد كان كل فكري في بيروت حيث تركت أوراق مديرية النصر ووثائق ودروساً وحلقات تتعلق ببعض الواجبات العسكرية التي كنت أتلقاها في الحزب. وقد مدني الرفيق تاج الدين مرتضى بمبلغ خمس وعشرين ليرة، فوصلت إلى منزلي في بيروت. ولكن أهلي كانوا قد سبقوني إلى حرق الأوراق، فأكملت إحراق ما بقي منها. وجعلت همّي وضع نفسي تحت تصرف الرئيس جورج عبد المسيح، إذ أنه كان يتعذر عليّ الاتصال بالزعيم الذي علمت أنه في منزل معروف صعب في دمشق لأنني اشتركت بنقل كمية من السلاح من هذا البيت أوصلناها حتى عين عنوب حيث سلمناها للرئيس عبد المسيح وللرفيق إسكندر شاوي الذي كان وقتذاك منفذاً عاماً لبيروت بعد اعتقال الأمين جريج ليلة حادثة الجميزة في حديقة دار الزعيم. أما هذا العمل فقد عاونت الرفقاء الذين قاموا به وأذكر منهم جوزيف حداد وألبرت خوري وأديب أبو سليمان.

وفي عين عنوب بقيت يومين تحت تصرف الرئيس عبد المسيح بانتظار أية مهمة، إلى أن كان صباح 21/ 6/ 1949، وكنت أنام عند الرفيق عباس حمدان ومعي الشهيد معروف موفق، ولم أعد أذكر الرابع. وعند الساعة الرابعة فجراً سمعنا طرقاً شديداً على الباب الرسمي، فتسلل الرفقاء الثلاثة من باب الشرفة ومعهم أسلحتهم. وتبعتهم أنا، ولكنني لم أتبيّن الطريق الذي سلكوه وأخذت أعدو نحو بستان الخوخ الموجود في محلة "الشاوي" لاعتقادي بأن هذا المكان أمين، ولو لم يكن كذلك لما اتخذه الرئيس عبد المسيح مخبئاً له. ولكن أطبق عليّ دركيان يحملان رشاشين وقاداني إلى المنزل الذي خرجت منه. وهناك اعتقلوا والد الرفيقين توفيق وعباس حمدان رغم سنه كما اعتقلوا أحد الأجراء وربطوا الثلاثة بحزام سروالي. ولم يقبضوا على أي قومي غيري سوى ناموس المديرية وهو من آل فخر الدين الذي ما لبث أن خرج من سيار الدرك بعد أن كتب رسالة انسحاب من الحزب بوساطة من مجيد أرسلان أو كمال جنبلاط لم أعد أذكر.

وبعد أن وصل الموقوفون تلك الليلة من قرى الجرد والغرب، حشرونا في

كميونات عسكرية وبوسطات مصادرة. ولم يكبلوا من هذا الجمع سوى ثلاثة هم: (س. ف.) من صوفر الذي يعتبر اليوم من ألد أعداء الحركة لمحاولته الهرب عند القبض عليه، والرفيق أديب حداد (الممثل التلفزيوني المشهور أبو ملحم) مدرب مديرية عاليه، وأنا، لأن النقيب شمعون قال للدركيين إنني خطر بعد أن صفعني وأنا مكبل أمامه.

وحين وصولنا إلى قيادة الدرك، وضعونا في المهجع الأيمن. وهناك تلقيت دروسي في بطولة القوميين وتخاذل بعضهم الآخر. ووصل أهل البعض وأخذوا يستكتبون أولادهم انسحابات من الحزب. وأذكر من الذين كتبوا هذا النوع وتخاذلوا ونادوا بالإنهزامية وشتموا الزعيم والحزب: (م. س. ع. خ.) من مجدلبعنا، و (س. ف.) من صوفر، وثلاثة رفقاء من آل رياشي من الخنشارة.

في اليوم الأول زارنا العقيد محمد جواد، وأخذ يحاول تحطيم أعصابنا محذراً إيانا من عدم الاقتراب من الشبابيك إذ أن [كلمات ناقصة في الأصل].

وفي اليوم التالي بينما كان الأمين عبدالله سعادة يقوي من معنويات الشباب، قمت أنا إلى بيت الخلاء أدرس مع بعض الرفقاء خطة للهرب الجماعي. ولكن لسبب لا أدريه، جاء من ينادي الأمين سعادة وأخذوه في سيارة جيب. ثم تلاه نداء آخر، وإذ بي مكبل في سيارة جيب أنا أيضاً. وصلت إلى سجن الرمل، فرفضني رئيس القلم. ولكن آمر السجن الملازم قاسم عبد الصمد قبلني وأرسلني إلى الانفراد قائلاً إنه خصصه لي منذ تلقى أمراً البارحة. وأعتقد أن هذه الأهمية التي لم استحقها يوماً والتي أحاطوني بها تعود إلى مرسوم من الزعيم ضُبط في مركز الحزب، وفيه يعينني الزعيم رئيساً لمدرسة المخابرات اللاسلكية التابعة للميليشيا.

وكان في النيابة الثالثة خمسة انفرادات وضعوني في أحدها ووضعوا في الأربعة الباقية الرفيقين فؤاد نجار وخليل حاوي والأمينين أبو عجرم وسعادة. كان الأمين أبو عجرم متكبراً لا يلتفت إلى أحد، ويحتفظ بالأخبار السارة والمزعجة التي تأتيه. أما الأمين سعادة فقد كان لطيفاً مع الجميع، يشجع الرفقاء على تحمل الأسر ويساعد المحتاجين بالدخان والطعام، وأنا منهم، ويعطينا

الإرشادات الصحية للمحافظة على نظافتنا ونظافة إنفراداتنا. وفي ذات يوم إلتأم شملنا في انفراد الأمين سعادة الذي دعانا لتناول الطعام معه. أخذ الأمين أبو عجرم يقص علينا ما قاساه في معتقل المية ومية وإذ به يقول: "وكان يتولى خدمتنا القوميون الهردبشت أمثال عبد الرحمن بشناتي". فتأثر الأمين سعادة لهذه الكلمة، وانسحبت أنا والرفيق حلاوي ولم نعد نتكلم معه. وكانت لنا صدمة قوية إذ سمعنا أميناً كان لأسبوعين خليا رئيساً للمجلس الأعلى يصف فقراء المادة من القوميين بالـ"هردبشت"، وكلنا يعلم أن سعاده قال لنا إن الأمة السورية هيئة اجتماعية واحدة. وما قاسى الأمين أبو عجرم ما قاساه الرفيق عبد الرحمن بشناتي من جوع وسجن وتعطل عن العمل واضطهاد وغيرها. ومنذ ذلك الحادث وأنا أقول إنه يتوجب عليّ أن أرفع تقريراً بالحادث، ولكنني أجبن فأحجم.

وبعد وصول الرفقاء الأبطال الذين اشتركوا بحوادث الغبيري وسرحمول، وضعت أمرة السجن مكان الرفيق فؤاد نجار الرفيق خليل مياسي ومكان الأمين أبو عجرم الرفيق أحمد عكاشي. الرفيق مياسي كان يقضي الأوقات التي تفتح أثناءها بوابة الانفراد بغسل وجهه وتصفيف شعره وتنظيف أسنانه، وهذه رباطة جأش لم أشاهدها من قبل رفيق ينتظر الإعدام قبل محاكمته. وأما الرفيق عكاشي فكان يقضي كل وقته بالصلاة ومناجاة الله والتعبد والترحم على مصيره ومصير زوجته.

ومن ثم نقلت إلى الغرفة السادسة من البناية الرابعة، ووضع مكاني أحد الرفقاء الذين اشتركوا في معركة مشغرة. وفور وصولي إلى الغرفة تبيّن لي أن المعنويات مرتفعة هنا بالنسبة إلى السيأر. وكان دأب الرفقاء جان طوق وخليل أبي عجرم ويوسف الدبس وغيرهم رفع معنويات الشباب. ولكن الأول أحيل إلى القلعة لأنه سمح لدمعة بأن تنحدر على خده عندما جاء العقيد جواد ينبىء الرفقاء بتهكم أن الزعيم قد أعدم، ويزيد ساخراً أنه لم يعد هناك وجود للحزب السوري القومي.

وفي هذا الأسر الممل كنت أدخل إلى حمام الغرفة الذي اتخذه الأمين خليل

الطويل مهجعاً له، وأتجاذب معه الأحاديث. وتعجبت ذات يوم عندما قال لي ما معناه أن من أسباب هذه النكبة تصلب الزعيم وبعده عن الارتباطات السياسية. وأعطاني مثلاً على ذلك "إقامة حفلة للرفيق جوزيف متى في بحمدون حيث سُمح فيها للأمين عجاج المهتار بالتهجم على الإقطاعيين وعلى آل أرسلان بالذات، رغم أن مجيد أرسلان اتصل بي ورجاني أن أسعى إلى إلغاء هذه الحفلة، وحملت رجاءه هذا إلى الزعيم".

وبينما كنت أفكر بأن اعتقالي سيكون حافزاً لزوجتي ومن يقف وراءها لكي يتراجعوا عن ملاحقتهم لي، إذ بي أتبلغ قرار حبس مدته ستة أشهر. وكذلك وصلت إلى كثير من الرفقاء أوراق تبليغ لحضور جلسات تتعلق بدعاوى أقامها عليهم أصحاب بيوتهم لتأخرهم عن تسديد بدلات الإيجار. ولكن أبي لم يتركني، بل قام بوساطات لدى أديب عفيش وبذل مالاً مع موظفين في المحكمة العسكرية ليحشروا اسمي بين أسماء الذين كان يُخلى سبيلهم كل ليلة. وخرجت من السجن على رغم قرار الحبس، وعوقب رئيس قلم السجن بسببي.

ولكن لم تمض أربع وعشرون ساعة على إخلاء سبيلي، حتى طلبني عفيش بواسطة أحد موظفي المحكمة العسكرية المدنيين الذي كانت له اليد الطولى في إخلاء سبيلي من دون الرجوع إلى رؤسائه. وتعهد هذا بشرفه أنه لن تساء معاملتي ولن أبقى لدى المستنطق العسكري أكثر من عشر دقائق، وأنه سيسألني فقط عن "المعهد اللاسلكي لعمدة التدريب" الذي يقول مرسوم من الزعيم إنني كنت رئيسه. ولكني كنت قد سمعت أخبار الضرب والتعذيب الجسدي، ورأيت بأم عيني أرجل الرفقاء سيمون مهنا وعلي مصلح وعلي رضوان متورمة من الضرب، والرفيق عبد اللطيف عبد الرحمن درويش مرمياً على الأرض مقصوف الظهر. لذلك صممت على عدم التسليم رغم بكاء والدي ووالدتي اللذين سمعا درك صوفر يقولون لهما [كلمات ناقصة في الأصل].

وعدت رسول أديب عفيش بأن استسلم في اليوم التالي. لكني تركت المنزل ليلاً من دون أن أرتدي سترة حتى لا أدع أهلي يشعرون بفراري. غير أنهم وافوني على الطريق وأنا أنتظر سيارة تقلني إلى الشام. وبقيت والدتي معي طول

الليل لتقنعني بالاستسلام بل وحتى مرافقتي إلى المحكمة العسكرية. إلا أنني تمكنت من الإفلات منها في صباح اليوم التالي، واستقليت بوسطة أقلتني إلى دمشق حيث نزلت ضيفاً على مواطن كان يعمل في شركة كهرباء صوفر. ولما علمت بأن رجال التحري اللبنانيين يجوبون دمشق بحثاً عن القوميين الفارين، وقد سمحت لهم السلطات الشامية باعتقال أي لبناني وسوقه إلى لبنان، وبالفعل اعتقلوا قومياً في بلودان وأرجعوه إلى بيروت، أكملت طريقي إلى حلب. وهناك علمت بوجود اثنين من رجال التحري اللبنانيين أحدهما يدعى ستراك، فقفلت راجعاً إلى دمشق خاصة بعد أن بعت ساعة يدي بخُمس ثمنها ولم يعد معي دراهم. واختبأت في دمشق حتى صباح 14 آب 1949. وقبل طلوع فجر ذاك اليوم علمنا بمقتل حسني الزعيم ومحسن البرازي. واشتركت بالمظاهرة والسهرة الابتهاجية اللتين أقامهما الرفقاء الدمشقيون وعلى رأسهم نزار المحايري ويوسف اليازجي وغيرهما.

وبعد هذا الانفراج في دمشق اعتقدت بأن الحال لا بد أن تكون قد تبدلت في لبنان، فرجعت وبقيت في قريتي القصيبة . المتن حتى كانون الأول من السنة نفسها إذ توفق الوالد باستصدار منع محاكمة ووقف ملاحقة من المحكمة العسكرية، وتسلمت ورقة بهذا المعنى.

1950

في 7/ 1/ 1950 اعتقلني رئيس مخفر صوفر تنفيذاً لقرار حبس مدته ستة أشهر بسبب تمنعي عن دفع نفقة مجمدة لزوجتي. وفور دخولي سجن الرمل توسط لي أهلي مع ضابطين، فاستخدمت ككاتب في القلم. ولكنني أدخلت في آذار إلى غرف السجن بعد المحاولة الفاشلة التي قام بها الرفيق توفيق حمدان لتنفيذ حكم الأمة برياض الصلح. تنظمنا داخل السجن دون العودة إلى المراجع الحزبية التي كانت ضعيفة ولا يمكن الاتصال بها. وبعد أن اتفقنا أن يكون رئيسنا في السجن جورج حداد، تكلفت أنا بالشؤون الإذاعية والثقافية. وقد واجهت معضلات متفاوتة، منها الصراع الخفي والعلني الذي نشب بين القوميين الاجتماعيين إذ انقسموا بين شيعة وسنة. وزاد الطين بلة نقل الرفيقين جبران جريج وإميل رعد

من سجن الرمل. وكانت تصرفات بعض الرفقاء تدعو للأسف الشديد، منهم [كلمات ناقصة في الأصل] الجمل الذي كان يتعاطى حشيشة الكيف، والرفيق (أ. م.) الذي كان دأبه الشغب وتزعم التكتلات العنصرية والطائفية بين صفوف القوميين، والرفيق جورج حمصي الذي لم يكن يحترم المسؤول ولا ينصاع لقرار الأكثرية، ورفيق من معرة النعمان متعصبٌ تعصباً أعمى لمحمديته، إذ كان يقول عن النصارى إنهم كفار... إلخ.

1951

كان الحزب معدوم النشاط تقريباً في لبنان. ولم يكن أمام القوميين الذين يودون القيام بعمل ما إلا استئذان المسؤولين القدماء أو زيارة دمشق والتفاهم مع المركز. حاولت جمع التبرعات، واستأذنت بذلك الرفيق إبراهيم يموت. ولكن المبلغ الزهيد الذي حصلت عليه لم يشجعني على المضي في نشاطي. أعطيت المبلغ إلى عائلة الرفيق سجيع عيد الذي كان في السجن وقررت عدم الخوض في هذه الناحية. ومع ذلك رحت أقدم مساعدات شخصية للقوميين في سجون جونيه والرمل وبعلبك. وأرضيت بذلك وجداني القومي وضرورة انسجامي مع قسمي.

وقد جرت معي ثلاث حوادث مؤسفة مع ثلاثة رفقاء، لا زلت أفكر منذ ذلك التاريخ بتقديم تقرير بحقهم وطلب محاكمتهم لما أعلقه من أهمية على ما أتوه معي، ولما لذلك من ذيول خطيرة على المناقب القومية الاجتماعية. كنت أميناً على أموال كهرباء صوفر وتمديداتها ولا أتأخر عن تقديم أية خدمة لأي رفيق في القرى التابعة للامتياز وهي قبيع والقرية ومجدلبعنا وشانيه وصوفر ورويسات. وكنت قد إدخرت يوماً مبلغاً من المال لأزيد عليه تباعاً كي أتمكن من شراء قطعة سلاح، لأن من واجبات القومي أن يكون لديه سلاح. فالتقيت ذات يوم من شهر آذار بالرفيق (أ. أ. ر.) وهو خارج من السجن. ولما أعلمني عن حالته المادية، أخذته إلى صوفر وأعطيته المبلغ بعد أن وعدني بإرجاعه في نيسان. مرت على هذه الحادثة سنوات خمس ولم يُرجع لي هذا الرفيق المبلغ ولا أي قسم من المبلغ. والأهمية ليست في عدم إرجاعه المبلغ بحد ذاته،

لكن مررتُ بأيام اشتهيت فيها البارة الفرد ورجوت الرفيق أن يعطيني جزءاً بسيطاً من مالي، فكان يدّعي كذباً أنه لا يملك شيئاً. لا بل أكثر من ذلك، فقد التقيت به في مساء أحد الأيام في دمشق وكنت جائعاً وليس معي غرش واحد لأشتري به ما يسد جوعي وأعلمته عن حالي دون خجل ولا مواربة. فدعاني إلى الانتظار على الطريق وصعد إلى إدارة "الجيل الجديد " ليقبض من مسؤول حزبي أجرة تدريسه في إحدى المدارس الحزبية، لكن لم [كلمات ناقصة في الأصل].

1952

ألحقت بمديرية الشهيد عباس حماد في دمشق، وكان مديرها الرفيق حنا كسواني. كانت المديريات تقضي أوقات اجتماعاتها بشرح المراسيم الاشتراعية التي كان يصدرها أديب الشيشكلي، وكأن الحزب انقلب إلى مؤسسة شيشكلية. وكلما كان الحزب يلاطف هذا الساقط إلى جانب الطريق، كان هو يمعن في اضطهاد الحزب وتوجيه الدولة توجيهاً عربياً رغم أننا بدأنا نشعر بأن المثقفين الشاميين أخذوا يتحسسون بالتاريخ والواقع السوريين. والدليل على ذلك أن محطة الإذاعة كانت تقول "الشعب السوري" ، ومديرية الآثار قدمت ميزانيتها مع فذلكة هذا نصها التقريبي "لتتمكن هذه المديرية من التنقيب عن الآثار السورية عبر التاريخ ولتكشف عن معالم النفسية السورية التي طمستها عهود الانحطاط التي نكبت بها الأمة السورية" . وكانت مجلة "الجندي" مجلة سورية قومية اجتماعية تقريباً.

ولكن فوزي سلو وأديب الشيشكلي كانا قد انغمسا انغماساً لا رجوع بعده في العروبة الوهمية ودغدغة الجماهير الجاهلة. وكان للخطاب "العروبي" الذي ألقاه سلو في حلب وقع سيء على القوميين الاجتماعيين. وبمساعدتنا للشيشكلي المتهور خسرنا فئات شامية كثيرة وعلى رأسها جماعة "الإخوان المسلمين" . وقد أبديت مخاوفي هذه للرئيس عبد المسيح ولحضرة الأمينة الأولى في مقابلات عديدة معهما، منتقداً سياسة الحزب هذه. فكان جواب الرئيس أن سياسة الحزب العليا التي ليس لي فيها إلمام تقضي بممالأة الشيشكلي. وكان جواب "أم"

السوريين أنه ليس لها رأي في سياسة الحزب.

وفي هذه السنة ألقت الرفيقة ساذج نصار خطاباً في بغداد خلال اجتماع للاتحاد النسائي العربي لم يرق للشيشكلي، فأبعدها إلى لبنان رغم توسط الأمين المحايري. ثم أبعد رفيقاً فلسطينياً رغم أن القيود المفروضة على تنقلات الفلسطينيين لا تجيز له الانتقال إلى دولة سورية أخرى. أما أنا فقد أبعدت بعد أن اتهمني العقيد محمود شوكت والمقدم فؤاد أسود بأنني أعكر العلاقات بين الشام والجمهورية الشعبية البولونية. ولما كنت أجنبياً، على حد تعبيرهما، فقد وضعاني في سيارة جيب وتركاني على الحدود دون أن يسمحا لي بأن أجلب ثيابي لأني تقدمت بتقرير إلى المدير العام للأمن والشرطة أفضح فيه مكتب التجسس الذي يديره قنصل بولونيا في دمشق، وأعطيته أسماء الجواسيس اليهود مع أرقام جوازات سفرهم الديبلوماسية والطريق التي يسلكون.

1953

أصيبت الحركة القومية الاجتماعية بنكسة كبيرة في جرود قضاء عاليه. وكانت هذه النكسة نتيجة حتمية لعدة أسباب. السبب الأول هو الانتقاء الخاطىء للمسؤولين الإداريين عند تقرير المركز إعادة النشاط الحزبي إلى لبنان. أما الخطأ الأكبر فهو إنشاء مفوضية لبنان العامة، ثم إنشاء المندوبيات. ونظراً إلى جهل المسؤولين من الناحية الإدارية، فقد كان من الطبيعي أن يُعيّن منفذون عامون ومديرون يشك بإيمان بعضهم. وكان هناك من لا يفقه شيئاً من أصول إدارة المنفذيات العامة والمديريات. ومثال على ذلك أن رفقاء ضعفاء النشاط في المنطقة تسلموا المسؤوليات، وما لبثوا أن حولوا المديريات إلى خلايا أرسلانية وأعلنوا حرباً شعواء على العائلات الجنبلاطية، وأعادوا إلى الصفوف الساقطين والضعفاء والخونة. حتى إذا أمرهم الحزب يوم 23 تموز بأن يقترعوا لفضل الله تلحوق وأمين السعد، رفض قسم كبير من هؤلاء القوميين وحاولوا الاعتداء على رفقائهم الذين أطاعوا الأوامر الحزبية وكادوا يعتدون على منفذ عام الجرد سعد خيرالله. ولكننا توسمنا خيراً بحل مفوضية لبنان العامة والمندوبيات التابعة لها، ولم نكن ندري أننا سننتقل من تحت الدلفة لتحت المزراب. فإذ بالمندوب

المركزي يبقى منفذاً عاماً للغرب، وإذ بالرفيق فؤاد عبد الملك يصبح منفذاً عاماً لمنفذية الجرد العامة التي أنشئت على أثر حل المفوضية. ويظهر أنه أقيم وزن كبير للألقاب الاقطاعية المنقرضة وأبناء البيوتات التي تمعن تخريباً في سورية منذ أجيال. ومنفذ عام هذه حالته لا بد أن يعيّن مديرين وأعضاء هيئات مديريات على طرازه... وهذا ما فعله!

وفي خضم هذه الفوضى عُينت ناظراً للإذاعة وخازناً لمنفذية الجرد ومديراً لمديرية صوفر. ووقعت إصطدامات قوية بين أعضاء هيئة المنفذية والمنفذ العام الذي كان يتسلى باستدعائنا إلى بيروت دون أن يكلف نفسه عناء زيارة المنطقة. حتى أنه أثناء تجوالي في القرى كان القوميون الاجتماعيون يلحون للتعرف على المنفذ العام. ولاستحالة وصعوبة العمل المثالي في هذا الجو، قصدت المركز مراراً عديدة برفقة ناظر التدريب وناموس المنفذية. وقابلنا الرئيس عبد المسيح نرجوه أن يحل المنفذية ويلحق مديرياتها بمنفذية المتن العامة لإن إلحاقها بمنفذية الغرب يبقي الحال على ما هي عليه.

وكان الجو في المنطقة يتطلب الجرأة. وفي جولة إذاعية لقرية مجدلبعنا، كاد شباب القرية المعادون للحركة القومية أن يقضوا عليّ. وعند إعلام الرئيس بهذه الحادثة، طلب منا أن نزور القرية للمرة الثانية. ولكن المنفذ العام وناظر المالية خافا على جسديهما، واكتفيت أنا باصطحاب ناظر التدريب [كلمات ناقصة في الأصل].

1954

رغم هذه الحالة في هيئة المنفذية، فقد قمنا بأعمال جبارة. حيث تمكنا من إنشاء مديرية في بعلشميه، وأعدنا مديريات عين داره وقبيع إلى الحياة. ثم اهتممنا بالذين سقطوا من الصفوف أثناء انتخابات 1953، فأعدنا من يحق لنا إعادته واقترحنا طرد البقية. ولكن المركز لم يأبه لاقتراحاتنا، ولا يزال هؤلاء يسيئون إلى الحركة حتى اليوم، ولا يزال مصيرهم معلقاً لا أدري أين.

بقيت على هذه الحال حتى 11 أيار من هذه السنة. وإذ بي أدخل السجن مجدداً لتمنعي عن دفع نفقة لزوجتي. وقد كنت الشغل الشاغل للكتائب التي

كان مسؤولوها يتصلون بالنيابة العامة في بيروت وجبل لبنان ومع رئيس مخفر صوفر ورجال التحري، ويقدمون لهؤلاء السيارات والمال حتى أنهم أقاموا عيداً عند اعتقالي. وفور دخولي السجن وبوساطة من المقدم إلياس رزق الله (كلف هذا الضابط بالدفاع عن الزعيم في المحاكمة الصورية سنة 1949 ويبدو أنه تأثر بالزعيم وأصبح فيما بعد قائداً للدرك)، ألحقت بمصانع السجن ثم بقلمه. وعندما جاء المقدم إلى السجن للتوسط لي، قال لآمر السجن النقيب عزيز أبي مارون بالحرف الواحد وكان برفقته ضابطان كبيران من سلك الدرك: "قد تعتقد يا عزيز أفندي أني جئت أوصيك خيراً بجوزف لأنه من عائلتي. قد يكون ذلك، ولكني أوصي به لأنه قومي اجتماعي. ولا أكتفي بالتوصية فيه، بل أدعوك إلى معاملة جميع القوميين الاجتماعيين نزلاء سجن الرمل معاملة تليق برجال الفكر والعقيدة الصحيحة مثلهم، فهم الفئة الوحيدة التي تستحق احترامي وهم يستحقون المعاملة الإنسانية". فأثنى على كلامه الضابطان الآخران، وقال أحدهما وأعتقد أنه المقدم عزت فرج: "الحق مع إلياس بك، فعندما حاول المجرمون زرع الفوضى في سجن دير القمر لم يقف في جانبنا سوى القوميين الاجتماعيين، وساعدوا الإدارة على إعادة الحالة إلى ما كانت عليه". ثم قام الضابط الثالث وقال إنه عندما كان آمراً لسجن القلعة "تعهد القوميون داخل السجن مدارس للأميين، عدا عن أن المتعلمين والمثقفين منهم علموا وثقفوا الأميين بينهم".

لكنني أقول بكل أسف إنه ليس جميع القوميين في سجن الرمل يستحقون هذا الثناء. فقد رفض الرفيق (إ. ر.) مقابلة الأمين دانيال عند زيارته للأسرى. ثم اقترف خيانة لا تغتفر بنظري، إذ رفض مقابلة الأمينة الأولى الجزيلة الاحترام مدعياً المرض. فزاد استياء الرفقاء من تصرفاته، خاصة أنه كان يقضي أيامه بالسجن وهو يشتم المسؤولين جميعهم، حتى أن الأمين جبران جريج عاتبه بكلمة مهذبة عندما جاء في 8 أيلول إلى السجن ودفع ما يتوجب على الرفقاء من [كلمات ناقصة في الأصل].

1955

عند خروجي من السجن في 1/ 12/ 1954 حاولت الالتحاق بمنفذية بيروت لأنني لا أستطيع أن أتحمل الفوضى في منفذية الغرب العامة. وقد سبق لي بأن لاحظت أن الرفيق وليم صعب (صاحب مجلة "البيادر" الزجلية) يدير المنفذية العامة كما يدير إمارة الزجل! وعندما ذهبت إليه لأخذ ورقة تعريف لبيروت أحالني على مديرية صوفر بهدف عرقلة إلتحاقي ببيروت. ثم طلب مني أن أبقى في مديرية صوفر التي لا يمكن أن تسير بدوني. وكذلك أخذ رفقائي من صوفر يرجوني أن أبقى بينهم لأن حالة المديرية مؤسفة وقد سبق لي أن أصلحتها حتى أصبحت من أحسن وأقوى مديريات الجرد. فقبلت النصيحة رغم أنني كنت قد تركت صوفر، وكان علي أن أقصدها كل يوم أحد تقريباً ما عدا الاجتماعات الاستثنائية ومناسبات أول أيار وأول آذار وغيرهما.

صدر قرار بتعييني ناموساً للمديرية، وكان من الطبيعي أن يتنازل لي المدير عن صلاحياته. ولكن النتيجة جاءت ضعيفة. كتبت عدة تقارير أطلب فيها فصل وطرد بعض الرفقاء، إلا أن حضرة المنفذ العام كان يعالج هذه التقارير شفهياً وعلى الطريقة العشائرية، فلم يفصل أحداً. وأنا متأكد أنه لم يطلب طرد أحد من المراجع المسؤولة. وإذا قدر لكم أن تزوروا مديرية صوفر، لأدركتم النتيجة التي وصلت إليها. وأعتقد أن المديريات المجاورة أسوأ حالاً منها. قلت له يوماً إن الرفيق فلان لا يحضر الاجتماعات، فأجابني: "أشطب اسمه من المديرية"... وهلما جرا. ومنذ إلحاق مديريات منفذية الجرد سابقاً بمنفذية الغرب، لم يقم ناظر الإذاعة وناظر المالية بزيارة مديرية صوفر، وأعتقد أنهما لم يزورا مديريات الجرد أيضاً. أما ناظر التدريب فلم نره إلا بعد حوادث الشام عندما تسلمت الأجهزة التدريبية كثيراً من نواحي النشاط الحزبي.

لا شك أن قسماً لا يستهان به من المواطنين بدأ يعطف علينا في الجرد بعد الحوادث الشامية، ولكن لا يوجد من هو مؤهل لاستثمار هذا العطف الجديد. فقد أنشئت الزمر عشائرياً، فهذا رئيس رؤساء زمر لأن زنوده قوية، وذاك رئيس زمرة لأنه عليم بحرتقات الضيعة. وهكذا لم يستفد الحزب من الخضة الشامية، إلا إذا اعتبرنا تبرعات الأعضاء المالية نصراً لنا. ناهيك عن أن تصرفات قسم من

القوميين في صوفر وشانيه وبحمدون، وخاصة صوفر، قد أساءت إلى الحزب إساءة كبيرة. فبعض القوميين في صوفر، ومنهم رئيس ورئيس رؤساء زمر، اتخذوا التعدي على الماجنين والعشاق وحماية أوكار الميسر مهنة لهم. وكم من مرّة رأيت مسؤولاً يتموّن بالعرق ويأخذ مرؤوسيه في سيارته للسكر والعربدة [كلمات ناقصة في الأصل].

1956

بعد جهود دامت ثلاثة أشهر تمكنت من الانتقال من منفذية الغرب العامة . مديرية صوفر إلى منفذية بيروت العامة . قطاع تدمر. وأول ما استرعى انتباهي أثناء هذه العملية أن الأمور الإدارية في منفذية بيروت لا تسير سيراً حسناً، إذ كيف نفسّر هذا التأخير بإلحاق عضو رغم أن ناموس المنفذية اليوم من المحاربين القدماء الذين مارسوا سنوات طوالاً المسؤوليات المختلفة وهو من المشهود لهم بالانضباط والنظامية، ورغم أن على رأس عمدة الداخلية الأمين جبران جريج الذي أنقذ منفذية بيروت سنة 1948 من الهاوية. أما من الوجهات الأخرى، فقد لاحظت أن نظام الزمر في بيروت هو غير نظام الزمر في الجرد.

وفي النهاية أود أن اقترح على عمدتكم الموقرة ما يلي بخصوص تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي:

أولاً: أن يسبق تاريخ الحزب وضع تاريخ شامل دقيق لسوريا.

ثانياً: إذا تعذر ذلك في الوقت الحاضر بكتاب على حدة، أرى أن توضع مقدمة كبيرة للكتاب المقترح تُذكر فيه الأحداث السورية من بداية تاريخها الجلي وحتى نشوء الحركة السورية القومية الاجتماعية.

ثالثاً: أن يكون هناك ارتباط وثيق مع النفسية السورية والأرض السورية وفضلهما على نشوء هذه الحركة.

رابعاً: أن يُخصص القسم الأوفر من هذا الكتاب لسعاده من مولده حتى استشهاده، وإبراز جميع نواحي شخصيته الفذة: موسيقى، فن، شعر، قصة، إدارة، استراتيجية عسكرية، علم اجتماع، الزوج الأمثل، الأب المثالي،

المعلم، عطفه على رفقائه، ازدرائه بالمساومات السياسية المكيافيلية... إلخ.

خامساً: أن يليه بالأهمية شهداء الحركة من الذين قضوا في بطاح فلسطين إلى آخرهم الرفيق عاطف جبران مع نبذة عن حياتهم وصراعاتهم ودرجاتهم العلمية والمسؤوليات الحزبية التي مارسوها، ووصف دقيق للمعارك التي خاضوها وما تركوه من أرامل وأيتام... إلخ.

سادساً: أن يترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية والإنكليزية والأسبانية والبرتغالية.

بيروت في 25/ 1/ 1956

معلومات موثقة

تتوقف رسالة الرفيق جوزف رزق الله إلى عمدة الثقافة عند شهر كانون الثاني 1956. إلا أن الوثائق الخاصة والحزبية المتوافرة بين أيدينا تقدم لنا المزيد من التفاصيل عن السنوات اللاحقة. فنحن نعرف، على سبيل المثال، أنه تولى مسؤوليات حزبية عدة في صوفر التابعة لمنفذية الغرب العامة وفي الأشرفية التابعة لمنفذية بيروت العامة. وخلال النصف الثاني من سنة 1956 تحمّل مسؤولية المندوب المركزي للجنوب اللبناني ـ جبل عامل خلفاً للرفيق مصطفى عز الدين الذي يبدو أنه كان يتمنع عن إيصال كل البريد الحزبي إلى الوحدات الإدارية في تلك المنطقة، فتم تعيين جوزف مكانه.

غير أن النشاط الأبرز في الأشهر الأولى من سنة 1957 تركز على الخلاف الخطير الذي وقع في الحزب السوري القومي الاجتماعي بين المجلس الأعلى من جهة ورئيس الحزب جورج عبد المسيح من جهة أخرى، وأدى لاحقاً إلى استقالة الرئيس في 16 آب 1957، ثم حدوث الإنشقاق الأول في الحزب. وتُظهر الوثائق أن جوزف كان عضواً فاعلاً في "حلقة الإنقاذ" التي ضمت عدداً من القياديين القوميين الاجتماعيين الساعين إلى إيجاد مخرج ينقذ الحزب من ورطة الصراعات الداخلية. كما كان في الوقت نفسه عضواً في الحلقة الثقافية التابعة لمنفذية الغرب العامة.

نقرأ في إحدى الوثائق بخط جوزف ما يلي: "مقررات جلسة حلقة الإنقاذ المنعقدة بتاريخ أول نيسان سنة 1957 في منزل جوزف رزق الله:

1 ـ درس البيان والانتهاء منه في الجلسة المقبلة.

2 . توقيع جماعي عليه بعد وضعه بالصيغة النهائية وقبل تقديمه إلى سائر الأمناء ورئيس الحزب.

3 . بعد المهلة التي سنعطيها لرئاسة الحزب للقيام بالتطهير والإصلاح وعدم الاكتراث لمطالبنا، نمتنع عن دفع اشتراكاتنا وتجميد الاشتراكات الموجودة مع المحصلين الذين يمكننا أن نقنعهم بوجهة نظرنا، ونسعى إلى تعميم هذه النظرية وتنفيذها في صفوف القوميين لحرمان الفساد من غذائه المالي".

وخلال شهر نيسان 1957 عقدت "حلقة الإنقاذ" سلسلة من الاجتماعات واللقاءات، وقام أعضاء منها بجولات على الوحدات الحزبية في إطار الحراك الداخلي للضغط على المسؤولين المركزيين. ويتضح من الوثائق أن جوزف كان من مؤيدي موقف عبد المسيح وإن بتحفظ شديد. إذ نقرأ في محضر جلسة "حلقة الإنقاذ" بتاريخ 16 نيسان 1957 الفقرة التالية بخطه: "...وذلك لاعتقادي أن هذا البطل القومي الاجتماعي يصلح لقيادة المعارك ولكنه لا يصلح لفترة إصلاح وإنقاذ وتطهير". (التفاصيل الكاملة منشورة في باب الوثائق. القسم الثاني من هذا الكتاب).

وتقدم لنا ملاحظات جوزف والمحاضر التي سجلها بخطه صورة معبّرة عن فوضى الوضع الداخلي في الحزب آنذاك، وعمق الاستقطابات الحادة بين أنصار عبد المسيح من جهة وأنصار الأكثرية في المجلس الأعلى من جهة ثانية. ونقرأ عن نشوء حلقات حزبية عدة في مختلف المناطق على غرار "حلقة الإنقاذ"، وكيف حاول الناشطون في هذه الحلقات التنسيق في ما بينها وصولاً إلى إنشاء كتلة ضغط حزبية فاعلة.

ويبدو أن جوزف لم يكن مرتاحاً إلى مسار تلك الحلقات، فنراه يسجّل على هامش إحدى الصادرات أنه أوقف نشاطه الإداري بتاريخ 8 حزيران 1957 من دون أن يشرح الأسباب الموجبة لذلك. غير أن هذه القطيعة لم تستمر طويلاً، إذ نراه يعود إلى خضم النشاط في 20 أيلول 1957، ويكتب في صادرة رسمية: "يجب أن نعوّض السنة التي يمكن أن نقول إننا أضعناها بإنطلاقة قوية جبارة". وهكذا تولى، في أواخر 1957، مسؤولية ناظر المالية في منفذية الغرب العامة.

خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من سنة 1957 والأشهر الأولى من سنة 1958، نقف في الوثائق الحزبية على عبارة "اللجنة التركيزية" أو "لجنة التركيز القومي الاجتماعي"، وكان جوزف من الناشطين فيها. والظاهر أن هذه العبارة استخدمت للتفريق ما بين "إنتفاضة" عبد المسيح والمركز الذي اتخذ قراراً بطرد عبد المسيح وعدد من مؤيديه. في 22 كانون الثاني 1958 وجّه جوزف رسالة إلى الرفيق علي (الأحمدية) من مديرية شارون التابعة لمنفذية الغرب العامة، يعاتبه فيها على سفره إلى أميركا لمتابعة تحصيله العلمي من دون أن يودعه. ويذكره أيضاً بنشاطهما معاً لـ"تلبية انتفاضة الحق على الباطل وثورة الرسل العقديين على الخونة المتذبذبين".

وقد تحمّل جوزف مسؤوليات عدة في تنظيم "الإنتفاضة" حتى أواخر سنة 1958. فقد كان منفذاً لمنفذية صور العامة، وظل فيها لغاية آخر تموز عندما استقال بعدما تعذر عليه الوصول إلى المنطقة بسبب حوادث "صيف الدم" في لبنان. والحقيقة التي تكشفها الوثائق أن قيادات الجيش والدرك هي التي أبعدته عن صور. يقول في رسالة الاستقالة المرفوعة إلى رئيس الحزب بتاريخ 31 تموز 1958: "عند أبعادي من قبل الجيش والدرك اللبنانيين من منطقة صور، شعرت أن رجوعي مستحيل في هذه الظروف العصيبة".

ويروي جوزف في قصاصة ورق مرفقة ببطاقة توصية تفاصيل الإبعاد على الشكل التالي: "بطاقة أعطاني إياها الرقيب الأول أحمد الشعار، رئيس نقطة حراسة وتفتيش جسر القاسمية، وذلك بعد أن أخذ مني قلم حبر باركر "هدية". وكان قد استلمني من درك صور الذين أوصوه أن يوصلني لبيروت بوسيلة أمينة لا أقع فيها بين أيدي رجال المعارضة، وخاصة هؤلاء المرابطين في صيدا عند منزل معروف سعد والذين يحرقون السيارات".

وإلى جانب مسؤولية المنفذ العام، أنيطت به مهمة إدارة مجلة "الجيل الجديد. صدى الشمال" في حزيران 1958، وهي الناطقة باسم الحزب آنذاك. لكنه لم يستمر فيها طويلاً لأن وكيل عميد المالية استغنى عن "خدماته" بحجة العجز المالي الذي تعانيه المجلة. وبين هذه وتلك من المسؤوليات الحزبية،

واجه جوزف دعاوى قضائية عدة منها مذكرة جلب جديدة بتاريخ 7 تشرين الثاني 1958 بدعوى جديدة نقف على تفاصيلها في رسالة مرفوعة إلى رئاسة الحزب: "محكمة جزاء صيدا، رقم الأوراق 534. موعد الجلسة الساعة الثامنة من يوم الاثنين الموافق 5 كانون الثاني 1959. المدعي: الحق العام. الجرم: قيام بنشاط لحزب منحل".

والأرجح أن هذه المذكرة صدرت بينما كان جوزف يتولى مسؤولية مدير مديرية فرن الشباك، لذلك قرر السفر إلى الكويت للعمل في شركة أبيلا. لكنه لم يتحمّل الممارسات المهنية والاجتماعية الفاسدة فعاد إلى بيروت بعد حوالي خمسة أشهر، ليتولى مسؤولية المذيع في المديرية نفسها.

ولا توجد بين أيدينا أية وثائق أو معلومات تحدد زمن تخلي جوزف عن تنظيم عبد المسيح وعودته إلى صفوف الحزب. كل ما نعرفه أنه كان مذيعاً لمديرية فرن الشباك التابعة لمنفذية الغرب العامة في القسم الثاني من سنة 1959 (ألحقت هذه المديرية بمنفذية بيروت العامة في منتصف سنة 1961). وتروي ابنته الرفيقة جيزيل أن أسد الأشقر، رئيس الحزب آنذاك، قال للرفيق جوزف بعد عودته إلى الصفوف النظامية: "بقدر ما زعلنا بروحتك، بقدر ما فرحنا بعودتك".

ومن خلال موقعه كمذيع للمديرية، نراه دقيقاً للغاية في متابعة ما يصدر في جريدة "البناء" الناطقة بلسان الحزب. في جلسة هيئة المديرية بتاريخ 20 تشرين الثاني سنة 1959 "يلفت نظر عمدة الإذاعة إلى ورود كلمة "المجتمع اللبناني" في البناء عدد 18/ 11/ 1959. وتقرر رفع رسالة يُطلب فيها مراقبة ما يُكتب في الجريدة".

ولعل الخلفية العقيدية الخالصة التي كان جوزف يتمتع بها هي التي جعلته حريصاً على مراقبة ما يُنشر في "البناء" بتمعن شديد. ففي 22 كانون الأول سنة 1959 يرفع إلى عمدة الإذاعة صادرة رسمية يقول فيها: "ورد في افتتاحية البناء عدد 450 تاريخ 17/ 12/ 1959 العبارات التالية: (بين الحكام العرب)، و(حاكم عربي يتهم دولة عربية بالجريمة)، (بالإضافة إلى الجيوش العربية)...

"إنني أرى أن الحكام العرب المعنيين هم حكام سوريون، وأن الدولة العربية المعنية هي دويلة سورية، وأن جيوش العراق والشام والأردن هي جيوش سورية وليست جيوشاً عربية حتى تستعمل الكلمة الأخرى للجيش المصري والجيش السعودي مثلاً. لا أرى أي مبرر لطمس دعوتنا للقومية السورية والمناداة بها خاصة بعد فشل الاتحاد المصري ـ الشامي، ودعوة قاسم لفكرة الهلال الخصيب، والجو الصالح لنمو فكرة القومية السورية في لبنان، هذا الجو الذي جاء عقب فشل التسوية الطائفية في الحكم بين المتلبننين والمستعربين".

في هذه الأثناء انتقلت العائلة إلى شتورا للعام الدراسي 1959 ـ 1960 بعد تسلم جوزف وظيفة مدير المحاسبة في فندق "بارك أوتيل" ـ شتورا. وعُيّن ناظراً للإذاعة في منفذية زحلة. وفي ختام العام الدراسي، عادت العائلة إلى فرن الشباك حيث تابع جوزف نشاطه الحزبي في مديرية فرن الشباك. وفي مطلع سنة 1961 تحمّل مسؤولية ناموس المديرية، ثم مسؤولية المدير في النصف الثاني من السنة نفسها. وبين أيدينا سلسلة من محاضر جلسات هيئة المديرية واجتماعات المديرية تعطينا لمحة مصغرة عن اهتمامات القوميين الاجتماعيين بينما كانت القيادة الحزبية تخطط للقيام بالثورة الإنقلابية في 31 كانون الأول سنة 1961.

ففي محضر اجتماع المديرية بتاريخ 14 كانون الأول 1961، يطرح أحد الرفقاء سؤالاً "حول تصريح حضرة رئيس الحزب الجزيل الاحترام (عبدالله سعادة) بأن روح العروبة متأصلة فينا. فأجاب حضرة المدير بأن هذا السؤال نفسه وُجه إلى بعض المسؤولين حول هذا التصريح، ونحن بانتظار الجواب". وبعد خمسة أيام يرفع الرفيق وليد سلوم صادرة رسمية مستفسراً عن "نحن عرب أم مستعربون؟" وفي 26 الشهر تعقد هيئة المديرية جلسة مخصصة "لدرس بيان حضرة رئيس الحزب بمناسبة ذكرى التأسيس". (في القسم الثاني من هذا الكتاب نص مداولات أعضاء الهيئة).

لا يوجد في سجلات مديرية فرن الشباك ما يشير علناً إلى استعدادات الرفقاء للمشاركة في الثورة الانقلابية. لكننا نعرف من مرويات بعض الرفقاء أن جوزف كلف أعضاء من المديرية هم ميشال خوري وجوزيف عقل إلياس وعباس

حمدان وأوغست حاماتي بمهمة إطلاق سراح النقيب شوقي خيرالله الذي كان قيد التوقيف الاحتياطي، يرافقهم للتمويه عادل إندراوس شقيق زوجة خيرالله. وعلى أثر فشل الثورة الانقلابية صدرت بحق جوزف رزق الله مذكرة توقيف بتاريخ 19 شباط 1962 بتهمة "القيام بعصيان مسلح قصد تغيير الدستور واغتصاب السلطة والحض على التقتيل والتخريب وإثارة الحرب الأهلية". لكنه تمكن من التخفي عن الأنظار لثلاثة أو أربعة أشهر بحيث أن الصحف اللبنانية تحدثت آنذاك عن عمليات البحث عن قياديين حزبيين متواريين عن الأنظار هما عبدالله قبرصي وجوزف رزق الله. علماً أن الأول كان قد وصل إلى عمان ومنها إلى فنزويلا، بينما كان الثاني يتنقل من مخبأ إلى آخر في لبنان.

أخيراً وقع جوزف بأيدي قوى الأمن بينما كان على متن إحدى الحافلات على طريق الجمهور قادماً من فالوغا، وانضم إلى ألوف القوميين المعتقلين في سجون السلطة. ومع أنه لم يتلقَ أحكاماً بالسجن كغيره من الرفقاء المسؤولين في المحاكمات الأولى سنة 1962، إلا أنه تعرض للاعتقال مرة أخرى في شباط سنة 1963 حيث أمضى في السجن أربعة أشهر تقريباً. والأرجح أن هذا الاعتقال كان بسبب دوره في تنظيم إضراب النساء القوميات في 16 شباط. وفي تلك الفترة بالذات أعلن الأسرى القوميون الاجتماعيون الإضراب العام عن الطعام والكلام، وقاطعوا جلسات المحكمة احتجاجاً على استمرار المعاملة السيئة والتعذيب والإرهاب بحق المعتقلين القوميين في السجون اللبنانية. وقد أصدر رئيس الحزب الدكتور عبدالله سعادة بياناً بهذا الصدد بتاريخ 29 أيار 1963 حمّل فيه الحكومة مسؤولية ما قد تؤول إليه هذه الإجراءات.

وما كادت موجة العنف السلطوي الأعمى ضد القوميين وأنصارهم تنحسر نسبياً بعد صدور الأحكام الأولى، حتى بدأ القوميون الذين تمكنوا من الوصول إلى الأردن في إعادة ربط ما انقطع من تواصل بين القيادات الحزبية وذلك بهدف تنظيم الصفوف وإيجاد آلية عمل لمتابعة الوضع في الكيان اللبناني. لذلك نشأت في عمان قيادة مؤقتة جعلت همّها الأساس في المرحلة الأولى رعاية شؤون عوائل الأسرى والشهداء القوميين وتلبية احتياجاتهم الحياتية الملحة، وفي الوقت

نفسه خلق تنظيم حزبي سري في لبنان بهدف التنسيق مع القيادة المؤقتة في الأردن. وهنا يأتي دور جوزف الذي تولى قيادة العمل الحزبي في لبنان تحت اسم مستعار "ناصيف".

وبين ايدينا رسالة بتاريخ 12 تموز 1964 وجهها "ناصيف "(جوزف رزق الله) الى "فاروق" (قيادة عمان) توضح الاجراءات التي اتخذت في الكيان اللبناني لتنظيم العمل الحزبي بعد الانقلاب مباشرة . يقول "ناصيف" :

بعد خروجي من اعتقالي الأول في صيف سنة 62 شعرت أننا سنكون بحاجة ماسة لوحدة الصف لنتمكن من تحمل الذيول الفظيعة لفشل الانقلاب كالاضطهاد والتشرد والصرف من العمل والاعتقال الكيفي وتلك أمور واجهتنا (...) بعد أن كنا قد تعرضنا في المعتقلات للتقتيل الفردي والجماعي والتعذيب الجسدي البربري والتعذيب النفسي الحقير. كان يكفينا أن نتذرع بنصوص وروح الدستور لنقيم في لبنان قيادة حزبية تكسب شرعيتها من ثقة الرفقاء بانتظار إيجاد المخرج الدستوري مما نحن عليه. ولما كنت أظن أن بعض الرفقاء القياديين من المجلس الأعلى أو مجلس العمد أو المكتب السياسي أو ممن تولوا أعمالاً قيادية ليلة الانقلاب لا بد أن يكونوا قد تمكنوا من الإفلات وهم ساعون حتماً لإنشاء مثل هذه القيادة وفضلت ألا أتَّهم وقتذاك باستفادتي من الظروف القاسية لأتولى وبعض الرفقاء إنشاء قيادة قطرية في لبنان وحرصاً مني على وحدة الحزب . وقفت تجاه محاولات إنشاء أية قيادة من هذا النوع موقف الحكمة والتريث وسعيت جهدي للاتصال بالمكان الذي أنتم فيه شعوراً مني أنه المكان الوحيد في الوطن الذي سيلجأ إليه المشردون حتى ولو لم يسمح لهم بأي نشاط حزبي أو سياسي. كانت أجوبة الأمين إميل غير مشجعة ورفض في البداية نشوء أي تنظيم حزبي وعندما وصفت له حالة العائلات المحزنة أجابني مع الرسول: (. . .) "هي هكذا حتى ولو لم تتعرض للجوع...". عندها أمهلته فرصة أسبوعين للموافقة على إنشاء لجنة مركزية في لبنان وإلا اضطررنا إلى التفرد ودعونا جميع رفقاء العالم حولنا. عندها كلفني باقتراح لجنة وتم العمل. لا أزال حتى اليوم أُلام من بعض الرفقاء لوقوفي هذا الموقف الذي يعتبرونه سبب ما يسمونه

بالجمود الحزبي ويعزون إلى اللجم الدائم لأعمالنا وحماسنا. واليوم وبعد سنة وسبعة أشهر كان من الطبيعي أن يطالب بطرس وعشرات مثله بتوجيه التنظيم الحزبي نحو القواعد الدستورية وإذا كنت قد وقفت اليوم بوجه السماح باجتماعات دورية للمديريات واعتماد الصادرات والواردات وسيلة للعمل الحزبي وتعيين هيئات منفذيات فلاعتقادي أن الوقت لم يحن بعد لمثل هذه الأمور التي قد تكلفنا عشرات المعتقلين الجدد وأجور محامين ومراجعات وتعذيب وزيادة عدد العائلات المنكوبة دون أن نحصل مقابل هذه التضحيات على ما يساويها من كسب أو تقدم. ولكن هذا لا يعني أبداً أنه بإمكاني أن أتجاهل استعدادي التام لأي نهج ثوري للمرحلة المقبلة من العمل الحزبي وإنما الثورية التي ألمح إليها لا تعني بالضرورة الاغتيال وسفك الدم ولانقلابية طريقاً لاختصار طريق النصر كما أنها لن تعني بعد الآن السكوت عن الأعمال البربرية التي نتعرض لها. المنهج الثوري كما اشترك بفهمه مع عدد من الرفقاء المسؤولين هنا هو نهج الزعيم الذي رفض الأساليب الرجعية والطبقية والبرجوازية في الإدارة الحزبية. ولا ننسَ أن الزعيم، في قسم المسؤولية وفي حياته القدوة فيما بعد، قد شدد على عدم جواز استعمال الحزب لمنفعة شخصية وعلى وجوب اعتماد البطولة المؤيدة بصحة العقيدة إن نهج الزعيم الثوري لم يسمح بمحالفة الرجعيين كما حصل من بعده دون أن نلمس أية ضرورة سياسية لذلك. إن الثورية التي نفهم تمنع توددنا من رجال الدين وهم الممثلون الأول للرجعية على وجه الأرض كما أنهم يشكلون عقبة كبيرة بوجه وحدة أمتنا الاجتماعية، التي لا يمكن للوحدة السياسية أن تتم بدونها. لم تنسوا طبعاً كيف جعل الأمين سعادة القوميين ثلة التشريفات لبطرك الموارنة في حلّه وترحاله من بكركي إلى الديمان وبالعكس ولو بقي الدكتور سعادة على رأس الحزب لأدرج هذه المناسبة بين الأعياد الحزبية.

اتخذت القيادة المركزية في الأردن اسم "فاروق"، والقيادة المؤقتة في لبنان اسم "سرجون". وتكشف المراسلات بينهما في أيلول سنة 1963 من خلال "ناصيف" عن السعي الدؤوب إلى تشكيل لجنة مركزية جديدة تتولى مسؤولية العمل الحزبي في لبنان. ويتضح من وثائق النصف الثاني من تلك السنة أن جهود

القياديين في عمان وبيروت تركزت حول الأمور التالية:

أولاً . إعادة تنظيم الصف الحزبي، وإنشاء هيئات قيادية، وترسيخ التواصل بين القيادتين في الأردن ولبنان، وتأمين وسيلة اتصال آمنة مع الأسرى في السجون اللبنانية.

ثانياً . جمع التبرعات المالية بكل الوسائل المتاحة من أجل ضمان سداد مستلزمات واحتياجات عائلات القوميين الشهداء والأسرى.

ثالثاً . البحث عن صيغ دستورية لقيام قيادة حزبية جديدة، ولذلك طرحت فكرة عقد مؤتمر قومي عام تنبثق عنه المؤسسات الدستورية الشرعية.

رابعاً . إطلاق حملة سياسية وإعلامية واسعة لمواجهة السلطات الشهابية بعد صدور أحكام بالإعدام على عدد من القياديين المعتقلين.

خامساً . التحرك السياسي الداخلي استعداداً للإنتخابات النيابية العامة المقررة في أيار 1964، وبعدها بثلاثة أشهر الانتخابات الرئاسية خلفاً لفؤاد شهاب، وإمكان توظيف هذا الشأن لمواجهة أحكام الإعدام الصادرة بحق القوميين الأسرى والتخفيف عن باقي المعتقلين.

وعلى الرغم من خطورة التواصل وصعوبته بين المسؤولين في عمان وبيروت والسجون، إلا أن القيادة المؤقتة في لبنان تمكنت بحدود أواخر سنة 1963 من تنظيم شبكة فاعلة لتوزيع المساعدات على عوائل القوميين الشهداء والأسرى وفق جداول دقيقة أشرف عليها "ناصيف" مباشرة. كما استطاعت هذه القيادة تأمين خط اتصال سري مع الرفقاء المعتقلين، وبالتحديد مع "جلال" (الدكتور عبدالله سعادة). وتبيّن لنا الوثائق التي حافظ عليها "ناصيف" (وهي غير كاملة طبعاً بسبب الأوضاع آنذاك) أن المسائل الأخرى كانت موضع تباين في وجهات النظر بين المراكز الثلاثة: عمان وبيروت والسجن.

ظلت مسألة شرعية القيادتين الحزبيتين المؤقتتين في عمان وبيروت، وعلاقتهما بالقياديين الأسرى، تؤرق المسؤولين الحزبيين في المرحلة الأولى من إعادة تفعيل العمل الحزبي. وقد ردت قيادة عمان "فاروق" على تساؤلات الرفقاء في الوطن وعبر الحدود برسالة إلى "ناصيف" بتاريخ آب 1963 قالت

فيها: "نحن جادون من أجل الوصول إلى الشرعية. كتبنا إلى جميع الأمناء في المغترب بهذا الخصوص. كما أن رسالتنا المرفقة إلى الأسرى متعلقة بهذا الأمر الحيوي. وإلى أن يتم هذا الأمر تبقى هيئة القيادة المركزية المؤقتة هي السلطة الحزبية المسؤولة". ونحن نعرف من خلال المرويات المنشورة في مكان آخر، أن رحلة "ناصيف" السرية إلى عمان تناولت هذه المسألة من ضمن مسائل حزبية أخرى عديدة.

وللخروج من غموض الشرعية الدستورية، طرحت "فاروق" فكرة عقد مؤتمر قومي اجتماعي عام. ففي رسالة إلى "ناصيف" بتاريخ 26 آب 1963 نقرأ التالي: "العمل للعودة إلى الدستورية لن ينحصر بالأمناء. لكننا سنتبع الطريق الدستورية في كل ما سنقوم به. سندعو إلى مؤتمر عام يحضره المسؤولون وكل إمكانية راغبة من الصف، بالإضافة إلى الأمناء. يدرس المؤتمر جميع الأمور الحزبية من دستورية ومنهجية وعقائدية وسياسية ثم ينتهي إلى مقررات. يجتمع الأمناء لانتخاب مجلس أعلى. يقوم المجلس الأعلى بتعديل الدستور وإصدار قرارات حسب مقررات المؤتمر. يحل المجلس الأعلى نفسه. يجري انتخاب المجلس الأعلى ورئيس الحزب حسب الدستور المعدل. إننا نشعر بمسؤوليتنا التاريخية ولذلك لن نرتجل أي خطوة لمجرد التبجح والمغامرة".

ويتضح من هذا النص أن "فاروق" كانت تواجه ضغطاً شديداً من الصف الحزبي، ولذلك نراها توجه في 10 تشرين الأول 1963 صادرة إلى المسؤولين الإداريين في الوطن وعبر الحدود توضح طبيعة الدعوة إلى المؤتمر القومي العام، قائلة: "وليكن واضحاً في أذهان جميع القوميين الاجتماعيين أن إحدى غايات المؤتمر الكبيرة هي بلورة ما يريده القوميون الاجتماعيون لا السلطات الحزبية الإدارية القائمة فقط، والتي ينحصر دورها في إفساح المناخ وتهيئة الجو للتعبير عن جميع الآراء الهادفة خير النهضة وفتح صفحة جديدة مشرقة أمامها". ومع أن الموعد المبدئي للمؤتمر كان محدداً بين تشرين الثاني وكانون الأول 1963 في مكان لم يتقرر نهائياً، إلا أن "فاروق" عادت لتعلن في 8 كانون الأول تأجيل المؤتمر حتى إشعار آخر.

هذه التطورات كانت تعكس أزمة حزبية كامنة، محورها الأساسي كيفية انبثاق السلطة بعد كارثة فشل الثورة الانقلابية. ففي حين سعت قيادة عمان إلى التمسك بحرفية دور الأمناء في انتخاب أعضاء المجلس الأعلى كخطوة أولى لقيام سلطة جديدة، كانت غالبة القوميين ومنهم بالطبع جوزف ترى أن جسم الأمناء المتراخي والمترهل آنذاك لا يصلح أن يلعب أي دور منفرد في نشوء سلطة حزبية تتمتع بالمصداقية وتحوز على ثقة القوميين في تلك المرحلة المفصلية من تاريخ الحزب، خصوصاً وأن عدداً من الأمناء المقيمين في لبنان أبدى تردداً واضحاً في دعم أي نشاط حزبي سري أو علني.

في مطلع العام 1964، وجدت القيادات الحزبية الثلاث (عمان . بيروت . السجن) نفسها أمام استحقاقات سياسية سيكون لها دور مهم في مستقبل العمل الحزبي على الساحة اللبنانية. فالانتخابات النيابية العامة التي ستجري في أيار من ذلك العام تشكل مختبراً أولياً لمشروع التجديد للرئيس فؤاد شهاب، وهو موضوع يواجه اعتراضات محلية وإقليمية واسعة. ورأت قيادات الحزب أن بإمكانها الاستفادة من هذا الجو لتحقيق مكاسب مرحلية تخفف الضغط عن القوميين الأسرى، وفي الوقت نفسه تمهد لقانون العفو الذي كان مجرد فكرة يطرحها بخجل محامو القوميين. ولذلك تأسست "زينون" كلجنة حزبية لمتابعة الاتصالات الانتخابية، وشُكلت قيادة في بيروت مؤلفة من "ناصيف" (جوزف رزق الله) و"كميل" (شفيق راشد) و"قدموس" و"أنطون" و"أسطفان" (لسنا متأكدين من هوية أصحاب هذه الأسماء المستعارة).

بالنسبة إلى العمل السياسي الانتخابي، إرتأت قيادة عمان "فاروق" أن يتولى "جلال" تسمية شخصية "صديقة" لإجراء المفاوضات مع المرشحين والقوى السياسية الأخرى. وحجتها في ذلك أنها لا تريد كشف المسؤولين الحزبيين في لبنان من خلال تلك المفاوضات. ومع أننا لا نملك ما يوضح موقف "ناصيف"، إلا أننا نستشف اعتراضه من الأجوبة التي أرسلها "فاروق". إذ يبدو أن قيادة لبنان كانت تفضل أن تقوم شخصيات قومية اجتماعية بمهمة التفاوض السياسي. والأرجح أنه تم التوصل إلى تسوية مرحلية بإنشاء لجنة انتخابية أطلق

عليها اسم "زينون"، لا نعرف على وجه التحديد من هم أعضاؤها، لكن "ناصيف" كان واحداً منهم إلى جانب قيادته للعمل الحزبي في لبنان... وقد صدر قرار بحلها في حزيران 1964 بعد إجراء الانتخابات النيابية في لبنان.

ومن الأفكار التي جرى تداولها داخل "زينون" في تلك الفترة أن يتم ترشيح عدد من الرفيقات أو المواطنات المقربات من الحزب، وهن من زوجات الأسرى القوميين، ومنهن الدكتورة مي سعادة والرفيقة ليلى رعد والرفيقة رؤوفة الأشقر. لكنه تقرر في نهاية الأمر غض النظر عن تلك الفكرة. ويروي رزق الله رزق الله، شقيق جوزف، أن هذا الأخير كلفه في مرّات عدة أن يحمل أسئلة مكتوبة إلى السياسيين المرشحين للانتخابات والساعين إلى الحصول على تأييد القوميين. وتضمنت اللائحة أسئلة من نوع: هل تؤيدون العمل الفدائي لتحرير فلسطين؟ وما هو موقفكم من العفو عن السجناء القوميين الاجتماعيين؟ وقد شددّ جوزف على ضرورة الحصول على أجوبة خطية من المرشحين للنيابة. وكان موقف القيادة الحزبية يتحدد في ضوء تلك الإجابات.

وتكشف لنا وثائق تلك المرحلة أن قيادة بيروت بلغت من الجرأة حد إصدار بيانات بمناسبة الأول من آذار والثامن من تموز 1964 باسم "اللجنة المركزية في لبنان" خاطبت فيها القوميين الاجتماعيين والمواطنين الذين "هم مدعوون اليوم إلى وضع حد للطغمة الحقيرة التي شوهت وجه لبنان بدسها ونفاقها وتخريبها وكبتها للحريات...". ولا شك في أن هذا الموقف التصعيدي باتجاه السلطة مرتبط إلى حد بعيد بنجاح الحزب في نسج سلسلة علاقات مؤثرة مع القوى السياسية اللبنانية، وفي الوقت نفسه فشل أنصار شهاب في تمرير مشروع التجديد بعد أن كشفت مجريات الانتخابات النيابية عن المعارضة الواسعة للنهج الشهابي.

كما برزت في ذلك الوقت مسألة جديدة مرتبطة بوصول حزب البعث العربي الاشتراكي إلى السلطة في دمشق. في 8 آذار 1963، نجحت اللجنة العسكرية في حزب البعث بالسيطرة على مقاليد الحكم بالتعاون مع ضابطين ناصريين كبيرين هما راشد القطيني رئيس الاستخبارات ومحمد الصوفي قائد لواء حمص. وأهم أعضاء اللجنة العسكرية هم: محمد عمران وصلاح جديد وسليم حاطوم وحافظ

الأسد. ويبدو أن قيادة البعث لم تكن مرتاحة للموقف المصري، فبادرت إلى فتح قنوات اتصال مع القوميين الاجتماعيين في لبنان لاستكشاف مجالات التعاون في دمشق وبيروت. طبعاً كان هناك اهتمام جدّي من قبل القيادة القومية التي كانت تتحرك لإطلاق سراح الأمينة الأولى والأمين عصام المحايري المسجونين في دمشق. ونقرأ في رسالة من "فاروق" (عمان) إلى "ناصيف" : "هناك اتصال سياسي يجب الاستمرار فيه وهو العلاقة مع البعثيين. يجب الاتصال مع شخص واحد هو جبران (مجدلاني). كما يجب أن نعيّن شخصاً واحداً للاتصال به ونمنع الآخرين من الاتصال به أو بغيره من البعثيين حتى لا تحدث بلبلة تكون نتيجتها سيئة. ونحن نعتقد أن أدهم قادر على هذا الاتصال ونطلب منكم أن تكلفوه بذلك".

ونقرأ في إحدى الوثائق غير المؤرخة بخط جوزف، لكن الأكيد أنها من تلك الفترة، أن أعضاء اللجنة الإدارية (قيادة لبنان) ناقشوا رسالة من قيادة عمان جاءت فيها إشارة إلى وجود تعميم من حزب البعث في لبنان يطلبون فيه التودد من مسؤولي الحزب السوري القومي الاجتماعي في المناطق. وورد في الوثيقة أيضاً أن الرفيق مشهور دندش انتقل إلى الشام واتصل بالرائد لويس زيادة والنقيب عبد الغني برو رئيس شعبة الاستخبارات في حمص. إلا أن اللجنة الإدارية (قيادة لبنان) طلبت من مشهور التوقف عن ذلك، كما تم طلب الأمر نفسه من معاون مسؤول المنطقة.

أدت هذه المستجدات السياسية، بالتزامن مع استمرار الإشكالات الحزبية الداخلية في ما يتعلق بقيام السلطة، إلى اتخاذ إجراءات إدارية في لبنان تمثلت بحل "زينون" و"سرجون" وتشكيل "هنيبعل" كهيئة قيادية جديدة في لبنان وعلى رأسها "ناصيف". وتُبيّن لنا الوثائق أن بعض المناطق (الغرب مثلاً) عمد إلى تشكيل مديريات ومفوضيات في منتصف العام 1964. لكن يبدو أنه تم غض النظر عن هذه الترتيبات لصالح الاستمرار في العمل السري. وفي حزيران من ذلك العام، أصيب جوزف بذبحة قلبية أقعدته فترة من الزمن.

لم تنجح الترتيبات الإدارية الجديدة في سد كل ثغرات الغموض في العلاقة

بين قيادتي عمان وبيروت. في مطلع آب 1964، قدّم كل من "طانيوس" (لبيب ناصيف) و"علي" و"سعيد" استقالاتهم من "هنيبعل". ومع أن كل واحد منهم قدّمها منفرداً، إلا أن صيغة الاستقالة تشير إلى قرار جماعي، لخصه "علي" بالتبرير التالي: "عدم التوافق في الآراء والتضارب الموجود حول المسائل المهمة التي تتعلق بالتنظيم والعمل الحزبي. واختلاف رأي "هنيبعل" مع "فاروق" حول العمل الحزبي في لبنان". وقد قبل "ناصيف" هذه الاستقالات على مضض، مؤكداً في الوقت نفسه أنه "لم يعد هناك أي اختلاف بين "هنيبعل" و"فاروق" **حول الموضوع الذي تشير إليه**".

وفي ضوء ذلك، صدر في أواخر آب 1964 قرار بحل "هنيبعل" وإنشاء "يوسف العظمة" لقيادة العمل الحزبي في لبنان على الشكل التالي:

- "ناصيف" للرئاسة والخزانة العامة.
- لبيب ناصيف لبيروت والسلامة العامة.
- "كميل" (شفيق راشد) للبقاع والطلبة.
- "رامح" (محسن أمهز) لنيابة الرئاسة ومتابعة الشأن السياسي.
- "سليم" (إلياس جرجي قنيزح) للناموسية والتنظيم الإداري.
- "سعيد" للإذاعة وجبل لبنان.
- "صيدون" للنقابات ومكتب العمل والشهداء والأسرى والمشردين.
- "خضر" للجنوب والمالية.
- "ميشال" للثقافة والفنون الجميلة.

لكن هذا الترتيب لم يعمّر طويلاً، إذ اتخذت الإدارة العامة المؤقتة بتاريخ 16 تشرين الأول 1964 القرار التالي:

"تلقينا كتاب استقالة ناصيف المؤرخ في 6/10/64، وإننا إذ نقبلها آسفين فإنما ذلك بسبب وضعكم الصحي بالدرجة الأولى، وبعد أن كررتم تقديم استقالتكم عدة مرات سابقة. وفي نفس الوقت الذي تقرر قبول استقالة ناصيف فقد تقرر أيضاً قبول استقالتي صيدون وبولس، كما تقرر حل يوسف العظمة فوراً وإنهاء كافة مسؤولياته التنفيذية.

"ولا يسعنا في هذه المناسبة إلا أن نسجّل لكم ولكافة أعضاء يوسف العظمة اعتزاز جميع القوميين الاجتماعيين بالأعمال العظيمة التي قمتم بها طيلة تحملكم مسؤوليات كانت في غاية الأهمية وفي أدق الظروف وأصعبها، مما يسجل لكم في سجل النهضة وتاريخها البطولي الفذ".

شهدت العلاقة بين التنظيم الحزبي السري من جهة وأجهزة الأمن اللبنانية، على رأسها المكتب الثاني، من جهة أخرى مرحلة شد وجذب بعد فشل مشروع التجديد الرئاسي لفؤاد شهاب. فقد ظهرت تصدعات واضحة في المعسكر الشهابي، إضافة إلى بروز بوادر جبهة معارضة للحكم كان الحزب السوري القومي الاجتماعي من مكوناتها وإن بصورة غير مباشرة. وفي هذا السياق يجب وضع حملة الاعتقالات الواسعة التي تعرض لها القوميون في حزيران 1965 في ما عرف بقضية "منزل شارع الحمراء" الذي كان بمثابة مركز سري للنشاط القومي الاجتماعي إلى أن كشفته أجهزة الأمن بفعل دسيسة من ناطور المبنى الذي يقع فيه المكتب.

أوقف جوزف في 16 حزيران 1965. ويذكر محضر التحقيق الرسمي أنه تمت مصادرة منشورات ورسائل ومستندات من منزله. لكن خلال أولى جلسات الاستجواب، تعرض لعارض صحي استدعى نقله على وجه السرعة إلى المستشفى العسكري حيث وضع تحت الحراسة. وقد تعذر استجوابه لأن الطبيب المعالج في المستشفى العسكري صرح بأن جوزف مصاب سابقاً بذبحة قلبية ولا يجوز وهو في هذه الحالة استجوابه خوفاً من حصول طارئ. وتكشف لنا رسائله إلى ابنته جيزيل الأوضاع الصحية الصعبة التي وجد نفسه فيها، من زكام حاد إلى أوجاع فقرات الظهر، ناهيك عن القلق الدائم من النوبات القلبية. واحتجاجاً على الإهمال الرسمي في السجن، أعلن الإضراب عن الطعام مما أجبر السلطات على نقله إلى المستوصف لإجراء الفحوصات اللازمة، قبل إعادته إلى سجن الرمل حيث شارك الدكتور عبدالله سعادة زنزانته الانفرادية.

كانت الاتصالات تجري على مستوى رفيع لإنهاء ملف معتقلي "منزل شارع الحمراء"، خصوصاً بعد تعرض الناطور الواشي للطعن من قبل مجهولين.

ولذلك رفض جوزف بشدة أية وساطة منفردة. يقول في رسالة إلى جيزيل بتاريخ 11 تموز 1965: "معنوياتي عالية ولولا وضعي الصحي لما فكرت بما أنا فيه. لذلك أرفض كل وساطة تتم على حساب كرامتي أو كرامة أخي أو كرامة العائلة. ولا تقومي أنت بأية وساطة زحفطونية". وبالفعل أنهي هذا الملف بالتي هي أحسن، وأخلي سبيله في 11 آب 1965.

لكن مسألة "منزل شارع الحمراء" تركت تداعيات مؤسفة على صعيد العمل الحزبي، إذ اعتبر جوزف أن الطريقة العشوائية الإنفلاشية التي طبعت نشاطات الرفقاء في "منزل الحمراء" هي التي ساهمت في فضح سرية العمل واعتقال العشرات من القوميين الاجتماعيين. ولذلك نراه يطالب من "الرئيس المؤقت" اتخاذ إجراءات حزبية عقابية بحق المتخاذلين سواء في حماية سرية العمل الحزبي، أو أثناء التحقيق معهم بعد الاعتقال. ومع أنه أطلق سراح المعتقلين مؤقتاً، إلا أن سيف المحاكمة ظل مسلطاً فوق رؤوسهم. وقد أصدرت المحكمة لاحقاً أحكاماً بالسجن على كل الرفقاء، من بينهم جوزف... لكن مع وقف التنفيذ نتيجة الضغوط السياسية والأمنية التي تعرضت لها السلطات الرسمية.

تولى الأمين عصام المحايري الرئاسة المؤقتة في خريف العام 1965 بعد أن تم الإفراج عنه من السجن في دمشق. وقد توقع القوميون الاجتماعيون أن تكون فترة مسؤوليته خطوة في مسار الإصلاح الحزبي الداخلي، خصوصاً في لبنان حيث ترافقت مساعي استصدار قانون للعفو العام عن السجناء القوميين مع خلافات بين القيادات الحزبية بعد أن استقال جوزف في تشرين الأول 1964، كما جاء في إحدى رسائله. لكن الرسائل المتبادلة مع الدكتور عبدالله سعادة تظهر لنا أن الاثنين كانا منزعجين وقلقين من بطء المحايري في اتخاذ الخطوات الكفيلة بمعالجة إشكالات الوضع الحزبي الداخلي.

يكتب الدكتور سعادة رسالة إلى جوزف بتاريخ 3 آب 1966 يقول فيها: "منذ أن تسلم حضرة الأمين محايري الجزيل الاحترام مسؤولية الرئاسة المؤقتة ونحن نترقب عودة النضال الحزبي المنظم في لبنان. ولكن ها قد مرت تسعة أشهر لم تسجل خلالها الإدارة الحزبية في لبنان إلا الفشل الكامل والإهمال الشامل لكل

نواحي العمل الحزبي، حتى ضج وجدان الرفقاء الغياري ووصلتنا أصداء آلامهم وتذمرهم إلى السجن". وبعد أن يستعرض الشكاوى التي وصلتهم إلى السجن، يؤكد على "وجوب تغيير الإدارة في لبنان (...) وبعد أن تداولنا أسماء الرفقاء الذين نتوسم فيهم الاستعداد والكفاءة لتولي أعباء هذه المسؤولية استقر رأينا على الرفقاء جوزف رزق الله، الأمين عجاج المهتار، نجيب إسكندر، نقولا حلاق، ومحسن أمهز". ثم يطلب من جوزف أن يبحث هذا الموضوع مع من يرى فيه الكفاءة والقدرة.

وقد جاء الرد في رسالة مؤرخة في 26 أيلول 1966 قدّم فيها جوزف تصوره للحل، عارضاً أحد عشر بنداً سياسياً وإدارياً، يهمنا منها العاشر والحادي عشر لعلاقتهما بالوضع الحزبي الداخلي الذي كان يزداد تعقيداً شيئاً فشيئاً: "عاشراً. تعهد من اللجنة المؤقتة في عمان ومن الرئاسة المؤقتة أنه لا عودة للشرعية دون أخذ رأي جميع القوميين وتعديل الدستور بالروح الذي حصل في أواخر سنة 1961، وتسليم قيادة الحزب لجميع القوميين بموجب انتخابات على جميع المستويات في أول ظرف ممكن. حادي عشر. اقتصار الرئاسة المؤقتة والسلطة التي انبثقت عنها بفترة انتقالية لا تتعدى السنتين". وتدلنا الوثائق على أن جوزف تابع اتصالاته مع سعادة والمحايري وغيرهما من القياديين القوميين، إلا أننا لا نستطيع الجزم بما وصلت إليه مساعيه في هذا الشأن.

وبين العامين 1965 و1966 تولى مسؤولية منفذ عام المتن الجنوبي (شاملاً المتن الأعلى). وبسبب نشاطاته الحزبية، تم اعتقاله لمدة في العام 1966، وكذلك في العام 1967. وقد عاد لتولي المسؤولية نفسها في العام 1968.

في مطلع العام 1967 تشكلت قيادة حزبية جديدة في الكيان اللبناني. فتألفت اللجنة المركزية من: عبدالله محسن وعبد اللطيف الغلاييني وغسان الأشقر وغسان عز الدين وزكريا اللبابيدي. وعُيّن أمّار للمناطق هم: جهاد أبو جودة. جبل لبنان، سهيل عبد الملك. بيروت، محسن أمهز. البقاع، سليم متري. الشمال، غسان عز الدين. الجنوب. وتضمنت الترتيبات الإدارية أيضاً تعيين منفذين عامين لمختلف المناطق اللبنانية.

ويبدو أن جوزف استفاد من هذه "الإجازة" الحزبية المؤقتة ليعاود التركيز على اهتماماته الفكرية الأخرى. فنراه يتابع بدقة كتابات عدد من القياديين الحزبيين، خصوصاً ما نشره أسد الأشقر (سبع بولس حميدان) وإنعام رعد (قيس الجردي) في الصحف اللبنانية وتضمن آراء مثيرة للجدل حول الرؤية القومية الاجتماعية لمفهوم "العروبة". في 9 أيلول 1967، يرفع رسالة إلى "حضرة الرئيس المؤقت" (عصام المحايري) يناقش فيها مفهوم "العربية الجديدة والتي نقرأ عنها الكثير في تعاميم الرئاسة المؤقتة الموقرة وفي مقالات قيس الجردي وسبع حميدان". ويتبيّن لنا أن جوزف لم يكن يعترض لمجرد الاعتراض، وإنما هو يشدّد على أن "هناك أحكاماً متسرعة في مجال التاريخ يجدر بمفكرينا أن يولوها عناية أكثر دقة"، داعياً إلى التروي والتبصر في المسائل الفكرية والسياسية.

حملت سنة 1968 ملامح تغييرات جذرية على مستوى العمل الحزبي بصورة عامة. فقد كانت المنطقة تترنح بفعل هزيمة حزيران 1967 حيث تعرّت الأنظمة الحاكمة أمام أنظار العالم أجمع. وبرزت ظاهرة العمل الفدائي الفلسطيني كبديل لفشل الحكومات وعجزها. أما على صعيد الكيان اللبناني، فقد حلّ مرة أخرى موسم الانتخابات النيابية المقررة بين آذار ونيسان 1968. لكن الجديد كان قيام الحلف الثلاثي المكون من بيار الجميل وكميل شمعون وريمون إده في مواجهة بقايا النهج الشهابي. وكان من الطبيعي أن تسعى الأطراف السياسية اللبنانية إلى خطب ود القوميين الاجتماعيين، مقابل التلويح بثمن أساسي هو إقرار قانون العفو العام الذي ظلّ نائماً لسنوات في أدراج اللجان النيابية.

جاء انخراط "اللجنة المركزية" (قيادة الحزب في لبنان وعلى رأسها الرفيق هنري حاماتي) بالمعركة الانتخابية تحت عنوان عريض هو إقرار قانون العفو. لكن ذلك كان يخفي أزمة حزبية كامنة، نلمح مؤشراتها في رسالة تعزية وجهها الرفيق جوزف إلى الأمينة الأولى بتاريخ 23 نيسان 1968 بمناسبة وفاة والدتها. يقول: "بحكم مسؤوليتي السابقة في لبنان أعرف شيئاً من آرائك حول وضعنا المتدهور وموقف بعضهم منك. ولكني أناشدك التدخل، بحكم الأمانة الأولى

التي تحملين، مع غيرك من الأمناء المشردين، لإنقاذ حزب سعاده العظيم".

وتجدر الإشارة إلى أنه جرى سنة 1966 انتخاب مجلس أعلى للحزب بالمراسلة لعدم التئام اجتماع الأمناء. غير أن هذا المجلس، من وجهة نظر جوزف، "لم يفعل شيئاً". لذلك نراه في أيار 1968 يقوم بسلسلة من المساعي والاتصالات مع عدد من الأمناء والقياديين، أبرزهم الأمين إلياس جرجي، بهدف إيجاد "مجلس أعلى فاعل". لكن يبدو أن هذه المساعي لم تؤدِ إلى نتيجة فورية، وإن ظلت معضلة انبثاق القيادة تؤرق القوميين الاجتماعيين. لذلك عُقد في صيف 1968 مؤتمر لهيئات المنفذيات، انبثقت عنه لجنة سداسية لبحث الأمور الدستورية. وقد عقدت هذه اللجنة حلقتها الأولى في 29 أيلول 1968، ويقول جوزف: "كان من المفترض أن تعقد الحلقة الثانية يوم 6/ 10/ 1968. ولكن هذه الحلقة ألغيت بناء على طلب اللجنة المركزية في لبنان بعد الأحكام التي صدرت بحق الأمين محسن و10 رفقاء آخرين".

في تلك الفترة تولى جوزف رئاسة الشعبة المالية في مفوضية لبنان العامة. ويبدو أن التضارب في وجهات النظر بينه وبين المفوض العام في كيفية إدارة العمل الحزبي السري في لبنان وصل إلى طريق مسدود ما دفعه إلى تقديم استقالته برسالة مؤرخة في 19 تشرين الثاني 1968، داعياً في الوقت نفسه إلى حل مجلس المفوضية واستقالة المفوض العام أيضاً: "أناشد وجدانكم القومي وضميركم الاجتماعي الاستقالة بعد إقالة مجلس المفوضية العاجز. استقالتكم خطوة ضرورية للتفتيش عن حل لأزمتنا التاريخية المؤلمة".

أخيراً تكللت المساعي والضغوط السياسية بإقرار قانون العفو عن السجناء القوميين الاجتماعيين في آذار 1969، فخرجت القيادات الحزبية إلى رحاب الحرية والنشاط المكشوف... وخرجت معها إلى العلن الاحتقانات الداخلية التي كانت تتفاعل وتتراكم بسبب توزع القيادات بين عمان وبيروت والسجن. وسرعان ما انتشرت في الصف الحزبي تساؤلات وانتقادات تتناول إشكاليات عدة منها عودة عدد من الأمناء المتقاعسين إلى واجهة القيادة بعد العفو. وقد كان جوزف واحداً من أبرز الأصوات المعترضة، ما دفع عمدة الداخلية في 27 حزيران 1969

إلى توجيه إنذار له بحجة أنه يقوم "بنشاط تخريبي في بعض أوساط المنفذية (المتن الشمالي العامة) وذلك بتوزيع الاتهامات والأحكام الشخصية بحق بعض المسؤولين المركزيين...".

وقد رد جوزف برسالة قاسية مؤرخة في 8 تموز (مع ملاحظة رمزية التاريخ) مطالباً بأن يطال التطهير "جسم الأمناء الذي نخره سوس الفساد والإفساد والانحراف والتجاوز الدستوري والخروج على روحية المؤسسة ومرتكزاتها الدستورية". وأشار إلى قناعته بعدم دستورية المجلس الأعلى وبالتالي كل المؤسسات المنبثقة عنه. وأخيراً ختم رسالته بالقول: "إذا استمر الحزب على هذه الحالة الزرية، مزرعة يتصرف بها الأمناء ويفصلون لها الثوب الذي يلاءم مزاجهم، فلن أنتظر طردكم بل أنا الذي سأبتعد عن هذا الحزب الذي لم يعد له أية مزية من مزايا الحزب الثوري الجبار الذي انتميت إليه بكل وعي وكل عزيمة صادقة".

في هذه الأثناء أعلنت رئاسة الحزب بتاريخ أول حزيران 1969 عن "عزمها على دعوة القوميين الاجتماعيين في الوطن والمغتربات إلى مؤتمر حزبي عام تعده وتشرف عليه لجنة تحضيرية خاصة". وقد باشرت هذه اللجنة في 21 تموز توجيه صادرات إلى القوميين الاجتماعيين بواسطة وحداتهم الإدارية تدعوهم فيها إلى المشاركة في الموضوعات المحددة على جدول أعمال المؤتمر. وبين أوراق جوزف نسخة من صادرة اللجنة التحضيرية، كتب على هامشها العبارتين التاليتين اللتين تعكسان موقفه من المؤتمر: "لا وجود لناموس لهذه اللجنة وعمليات التدجيل مستمرة"، و"استمعت إلى هذه الرسالة في الاجتماع الدوري الذي عقدته مديريتنا مساء الجمعة 1/8/69 في منزل المدير الرفيق فوزي عبد الصمد. وسألته عدة أسئلة وعد بإحالتها إلى المسؤولين".

في أواخر العام 1969 تقدم جوزف بطلب للحصول على جواز سفر، فتمنّع الأمن العام عن قبول طلبه. فما كان منه إلا أن وجّه في 7 كانون الثاني 1970 رسالة قاسية إلى كمال جنبلاط وزير الداخلية آنذاك هذا نصها: "الموقع قومي اجتماعي يُمنع عني جواز سفري رغم أنني لم أشترك بالإنقلاب ورغم قانون

العفو ورغم أنه لا يوجد بحقي أي حكم قضائي أو مذكرة توقيف. نسألكم هل الأمن العام دولة مستقلة لا تخضع للقوانين ولا للدستور ولا للسلطة التشريعية؟ رب عائلة أبقى دون عمل عدة أشهر، وتعرض عليّ الرواتب المغرية في الخليج، والأمن العام يحجز جوازي بحكم التسلط والتجاوز والأساليب البوليسية الدكتاتورية التي يمارسها. أملنا كبير أنكم المؤهلون لتعيدوا إلينا بعض الثقة بهذه الدولة المزرعة".

ردة فعل السلطات الأمنية كانت إصدار مذكرة إحضار بحق جوزف للمثول أمام المحقق العسكري بتاريخ 25 شباط. وفي الثاني من آذار صدر أمر باعتقاله بتهمة "الذم والقدح". ومع أنه تقدّم بطلب إخلاء سبيل فور توقيفه، إلا أن المحقق العسكري تجاهل الطلب وأمر بإيداعه السجن. وفي آخر رسالة وجهها من السجن إلى ابنته جيزيل بتاريخ 19 آذار، يُعلمها أنه سيتقدم بطلب إخلاء سبيل آخر و"إذا كان إخلاء السبيل غير ممكن فلنعجّل بتعيين جلسة المحاكمة".

لكن إخلاء السبيل لم يتم، وأصدرت المحكمة العسكرية حكماً عليه بالسجن لمدة شهر... وخلال هذا الشهر أصيب بنوبة قلبية حادة أدت إلى وفاته في السجن بتاريخ 4 نيسان 1970. أقيم له مأتم حاشد في القصيبة تكلم فيه الأمين حافظ الصايغ والأمين كامل حسان ورئيس الحزب آنذاك الأمين الدكتور عبدالله سعادة. وفي 18 كانون الثاني 2005 اتخذ المجلس الأعلى قراراً بتسميته شهيداً للحزب السوري القومي الاجتماعي بموجب الحيثيات التالية: "إن الرفيق رزق الله تميّز في حياته الحزبية بإيمانه والتزامه المطلق بالحزب والعقيدة، وتولى مسؤولية مفوض عام الحزب في لبنان بعد الثورة الانقلابية عام 1961 في ظروف صعبة جداً ما عرّضه للسجن مراراً كان آخرها في 19 آذار 1970 عندما قضى في السجن إثر نوبة قلبية حادة بتاريخ 4 نيسان 1970".



مرويات توفيق الحايك (أحمد)

كنت تابعاً لمديرية فرن الشباك/عين الرمانة، وكانت من أكبر مديريات الحزب في ذلك الوقت. مدير المديرية آنذاك الرفيق جوزف رزق الله، وأنا المحصل ومعي دفتر فيه سجل بجميع أسماء رفقاء المديرية. وقبل ليلة الانقلاب، أتاني الرفيق جوزف مع الرفيق أوغست حاماتي الذي كان ضابطاً سابقاً بسلاح الطيران في الجيش اللبناني وطلب مني أن أوافيه إلى منزله الذي لا يبعد كثيراً عن بيتي الذي هو أيضاً بجانب محلي النوفوتيه، وأن أجلب معي دفتر الأسماء الخاص بالمديرية. وهناك قمت بتلاوة الأسماء، وكان الرفيق جوزف يضع علامات على كل اسم. ثم اختار حوالي العشرة وطلب مني استنفارهم، فتوفقت بعدد منهم كان موجوداً بالمنزل والباقي لم يكن متواجداً.

وأذكر مِنْ مَنْ تم استدعاؤهم الرفيق ميشال خوري والرفيق جوزف إلياس والرفيق عباس حمدان، أحضرتهم معي إلى منزل الرفيق جوزف الذي أوكلهم بمهمة برئاسة الرفيق أوغست حاماتي الذي كان منتدباً من المركز ليكون مسؤولاً عن المهمة وهي مهاجمة سجن ثكنة الفياضية حيث كان الرفيق الضابط شوقي خيرالله معتقلاً، وإطلاق سراحه. ورافقهم الرفيق عادل أندراوس شقيق زوجة الرفيق شوقي. أما نحن فقد ذهبنا إلى منزل الرفيق عباس حمدان في عين الرمانة حيث انتظرنا كل الليل. نفذ الرفقاء المهمة بنجاح، إذ دخلوا السجن مع قالب حلوى بذريعة عيد ميلاد الرفيق شوقي. وقام الرفيق حاماتي بضرب الحارس بكعب المسدس على رأسه، وحمله الرفيق ميشال خوري على ظهره وأخذوه معهم. وأطلقوا سراح الرفيق شوقي وأوصلوه إلى وزارة الدفاع ليلتحق بالرفيق

فؤاد عوض الذي كان يحاصر الوزارة بالمصفحات التي أحضرها من الجنوب والتابعة لقيادته في ذلك الوقت. وقد اقتحم الدور الأرضي للوزارة، وراح يتفاوض مع بقية الضباط الذين تواجدوا بالدور الثالث على الاستسلام وعدم المقاومة. طالب الرفيق خيرالله بضرب الدور الثالث ما لم يستسلم بقية الضباط، فرفض الرفيق عوض وأخبره أن الأوامر تشدد على أن يكون الانقلاب أبيض بدون إراقة دماء.

وبعد أسر خمسة ضباط كبار من قيادة الجيش بينهم قائد موقع بيروت الجنرال عبد القادر شهاب، وهو قريب رئيس الجمهورية، ورئيس الأركان يوسف شميط وقد تم أسرهم بقيادة الرفيق ديب كردية، حدثت مقاومة فسقط قتيل من الجيش. عندها أوكل الرفيق عوض الرفيقين جوزف إلياس وميشال خوري بنقل الضباط بسيارة يقودها رفيق من الحدث يعرفه الرفيق عوض إلى ديك المحدي التي كانت مركز تجميع للضباط الأسرى. وكانت التعليمات تنص على تسليم الضباط والعودة فوراً إلى وزارة الدفاع، على أن ينقل الضباط لاحقاً إلى دير مار سمعان. ولكن الانقلاب فشل بعدم إلقاء القبض على الرئيس فؤاد شهاب.

وفي اليوم التالي أبلغني الرفيق جوزف أن الانقلاب فشل، ولكن هناك مقاومة في الكورة وبعض المناطق كديك المحدي وغيرها وعلينا استنفار الموجودين من أعضاء المديرية وإرسالهم إلى هناك، وهذا ما نفذته. وبنفس الليلة توجهنا أنا والرفيق جوزف بسيارة إلى ديك المحدي لاستطلاع الوضع هناك، ففوجئنا بحاجز للجيش أنزلنا عناصره من السيارة. وكنت شاباً يافعاً في ذلك الوقت، فقال الضابط لزميله مشيراً إليّ إنه صغير ولا أعتقد أن لهما علاقة بأي عمل... وأطلقوا سراحنا.

وكان قد ألقي القبض على الرفقاء أوغست حاماتي وعباس حمدان وعادل أندراوس وغيرهم، بينما نجونا أنا والرفقاء جوزف رزق الله وجوزف إلياس وميشال الخوري من الاعتقال لفترة. وقد سرّب لنا الرفيق حاماتي من السجن، وهو كان رئيس الزمرة المسؤول عنا، بأنه في حال تم القبض علينا الأفضل

التكلم بصراحة تجنباً للضرب والتعذيب حيث سقط لنا أكثر من ثلاثين رفيقاً استشهدوا من جراء التعذيب والضرب المبرح، وأغلبيتهم ممن شاركوا بالدفاع والمقاومة في حوادث 1958. وأذكر أنه عندما تم أسري رأيت الرفيق شوقي خيرالله في ثكنة الأمير بشير تلفه الضمادات الطبية من رأسه حتى أخمص قدميه من جراء الكسور وشدة الضرب. وكان لا يستطيع المشي إلا على العكازات.

استطعت تجنب الاعتقال طوال فترة شهر ونصف الشهر بعد الانقلاب. وطلب مني الرفيق جوزف استئجار غرفة والسكن فيها، والابتعاد عن منزلي العائلي بالوقت الحاضر. إستأجرت غرفة واحدة عند مقطع السكة بمنطقة التحويطة ووضعت فيها ثلاثة أسرة. وكان يأتي للنوم فيها بعض الأحيان الرفيقان جوزف إلياس وميشال خوري حيث أن أسماءنا جميعاً موجودة لدى دوائر الأمن العام. وفي أحد الأيام أتى الرفيق شفيق أبي راشد من قب إلياس وأخبر الرفيق رزق الله عن شخصين موثوق بهما من بيت عبدو من بلدة قوسايا ويستطيعان تهريب الرفقاء المطلوبين إلى الشام ومنها إلى الأردن بدون عبور نقاط الأمن. فطلب مني التنسيق معهما لإخراجنا مع من يريد من الرفقاء. فاتفقنا نحن الثلاثة أنا وجوزف إلياس وميشال الخوري وتوجهنا إلى زحلة. إنتظرنا بغرفة في فندق اختاروه لنا على أساس أنهم سيمرون علينا عند الصباح الباكر للتوجه إلى الشام. لكننا فوجئنا بأنهم متواطئون مع مخابرات الجيش والمكتب الثاني. وعند منتصف الليل لم نصحَ إلا على تحطيم الباب والرشاشات موجهة إلى رؤوسنا. بعد الاعتقال، إقتادونا إلى أبلح ووضعونا بالإنفرادي حيث كان الرابع عشر من شباط على ما أذكر والثلج يتساقط علينا ولا غطاء فوقنا، وزنزانات مساحتها ضيقة جداً ومفتوحة كالأقفاص، وكل واحد منا لا يدري شيئاً عن رفيقه الآخر.

وفي اليوم التالي بدأ التحقيق معنا كل فرد على حدة. أنا تكلمت بما حدث معي. وبعدها تم اقتيادنا نحن الثلاثة من أبلح بالجيبات العسكرية مكبلين إلى وزارة الدفاع. وهناك في الطابق الثاني كان قائد منطقة بيروت عبد القادر شهاب الذي كان مخطوفاً ليلة الانقلاب مع رئيس الأركان يوسف شميط. وفي هذه الغرفة تم ضربنا ضرباً مبرحاً ودعسنا بالجزم العسكرية وركلنا وهم يرددون:

"كيف تخطفون سيدنا المير؟ وكيف تتجرأون على سيدنا المير؟" وهم يركلون ويضربون بحضور عبد القادر شهاب وعدد من كبار الضباط. كانت الدماء تسيل بغزارة من وجوهنا وأجسادنا. ولم يكتفوا بذلك، بل أدخلونا إلى غرفة أخرى حيث أراد عدد من الضباط والجنود أن يدخلوا ليأخذوا دورهم بجولة الضرب والتعذيب، فصرخ فيهم ضابط كبير لا أدري من هو "بأن هذا يكفي نريد أن نرسلهم أحياء إلى المعتقل". وأمر بإخراج الجنود والضباط وأقفل الغرفة علينا، وتركونا لبعض الوقت ومن ثم نقلونا إلى ثكنة الأمير بشير.

تعرضنا في الثكنة إلى الكثير من التحقيقات والضرب للإعتراف حتى باشياء لم نقم بها. وكان المحقق يريد أن يزجني مع الرفقاء الذين خطفوا عبد القادر شهاب واقتادوه إلى ديك المحدي، إلا أن الرفيق ميشال خوري أقسم بأنني لم أكن معهم، وهذه هي الحقيقة. لكن المحقق أصرّ على اتهامي بأنني كنت في السيارة التي أقلت المخطوفين إلى ديك المحدي إذ أن السائق من الحدث وأنا هويتي من الحدث، فأراد ربطي بالموضوع وإدخالي معهم زوراً. إلى أن جاء عبد القادر شهاب مرتين للمواجهة في التحقيق ليتعرف ما إذا كنت أنا مع الخاطفين أم لا. وأيضاً تم جلب الحارس الذي ضُرب على رأسه بالفياضية، ولكنه لم يتعرف عليّ ونفى أن يكون قد رآني مع المهاجمين، وأنكر أية علاقة لي بالموضوع. غير أن عبد القادر شهاب رجع وزعم أنه رآني مع الخاطفين، فقال له الرفقاء: "نحن كنا موجودين واعترفنا بذلك، أما هو فلم يكن موجوداً". ولم يستطيعوا إلصاق التهمة بي، وهذه هي الحقيقة فأنا لم أكن موجوداً معهم. وقد قسمونا كمعتقلين بين من حمل السلاح وهاجم وخطف وبين الزمر الأخرى التي لم تقم بأي عمل عسكري.

أمضينا قرابة العام قبل أن يتم الحكم علينا سريعاً، ثم أطلق سراحنا أنا والرفيق جوزف الذي كان قد انضم إلينا لاحقاً بعد أكثر من ثلاثة أشهر في السجن، لنبدأ معاً حقبة العمل السري.

فترة العمل السري

إتصل بي الرفيق جوزف وأخبرني أنه يريد تنظيم صفوف الحزب وإعادة النشاط، فهل أنا مستعد لذلك؟ أجبته تلقائياً أنني معه وجاهز لكل شيء. بدأنا العمل لوحدنا في بداية الأمر، وكان العمل منظماً للغاية وكل شيء يتم بدقة. والمساعدات التي كنا نؤمنها من الرفقاء المتمكنين مادياً لإيصالها إلى عائلات الأسرى القوميين كانت سخية. وتم إنشاء تنظيم يشمل كل الكيان اللبناني. ثم كلفني الرفيق جوزف باستئجار منزل في شارع الحمراء (قرب الكوليزيه)، كان صغيراً في البداية، وبعدها أخذنا منزلاً أكبر عندما توسع العمل والتنظيم. وكان الرفيق جوزف يتلقى أسماء رفقاء جدد، فيكلفني بالتواصل معهم مثل الرفيق لبيب ناصيف وكان اسمه الحركي "مطانيوس"، وكان اسمي الحركي "أحمد"، والرفيق جوزف "ناصيف"، والرفيق بهجت الحلبي "ميشال". وتم تشكيل لجنة الأهل لمتابعة قضايا السجناء القوميين والدفاع عنهم. وكنت أنقل رسائل السجناء إلى الرفيق جوزف الذي يقوم بدوره بنشرها في جريدة "النهار" مثل رسائل الرفيق سبع بولس حميدان (أسد الأشقر).

وكنت أحمل الرسائل إلى كوسبا في الكورة أسلمها للرفيق بربر فاضل المكلف في الكورة بالعمل السياسي في تلك الحقبة (الشهيد لاحقاً في الحرب اللبنانية خلال السبعينات)، وإلى عكار وطرابلس مع الرفيق عصام البابا للتبليغ وتحديد اجتماع أو إيصال رسالة. وبنفس الليلة أتوجه إلى بعلبك ـ الهرمل عند الرفيق مشهور دندش، وأيضاً الرفيق محسن أمهز (قد يكون اسمه الحركي "رامح"). وإلى ضهور الشوير عند جبرايل عون. وكانت هناك صعوبة شديدة في المرة الأولى لأن العناوين غير محددة ولا يوجد هاتف، وعلينا توخي الحذر في كيفية السؤال عن عنوان منزل أو اسم رفيق. وفي إحدى المهمات تدهورت بنا السيارة وقلبت ثلاث قلبات لتستقر تحت الطريق، وكنت مع أحد الرفقاء لكننا لم نصب بأذى. وسبب الحادث قلة النوم والعمل المتواصل من أقصى الشمال إلى بيروت ثم البقاع وبعلبك ـ الهرمل للتبليغ عن اجتماع طارىء ومهم. فأسرع إلينا

الدرك لإنقاذنا مع أحد الرعاة الذي رآنا. وأبلغنا رجال الدرك أن من حسن حظنا أنه كتبت لنا النجاة إذ توفي ثلاثة أشخاص على هذا الكوع الأسبوع الفائت.

وهكذا تم ربط جميع المناطق مع رفقاء لنا، ولكل رفيق دوره المرسوم ومهمته المحددة. وأذكر أيضاً توجهي إلى منزل نعمة ثابت عدة مرات وتسليمه رسائل كلفني بها الرفيق جوزف. وفي إحدى المرات اعتذر من ضيوفه ليقلني شخصياً بسيارته إلى منزلي بعين الرمانة عندما علم أني جئت بالسرفيس حرصاً عليّ. وكان لا يزال محباً وغيوراً على الحزب والرفقاء. (كان ثابت من المتبرعين الدائمين في فترة العمل السري) إضافة إلى فيكتور موسى وأحد أفراد عائلة جبر.

عندما توسع نشاطنا القومي الاجتماعي، طلب مني الرفيق جوزف التفرغ كلياً للعمل الحزبي. واقترح الرفيق لبيب ناصيف أن يُصرف لي مبلغ كبدل الراتب الذي أتقاضاه بوظيفتي، على أن أكون متفرغاً كلياً. وتم صرف 150 ليرة لبنانية كتعويض شهري. ثم إستأجرنا منزلاً أكبر في شارع الحمراء. وكانت هناك أوضاع دقيقة لرفقاء أوكلني الرفيق جوزف بمتابعتها شخصياً وبدون أخذ أحد معي، كالرفيق زكي ناصيف الذي كنت أقصده كل نهار أحد من آخر الشهر وأقبض التبرع منه شخصياً. (من المتبرعين الدائمين أيضاً الرفيق رشيد رسامني والسيد فكتور موسى مدير الكازينو حيث يعمل نعمة ثابت كمدير للعلاقات العامة والسيد جورج حداد مدير في محلات باتا للأحذية وصديق من عائلة جبر)، وكذلك رفيق يملك سوبر ماركت كبيرة عند طلعة الأشرفية، نسيت اسمه، أقصده وحدي وأقبض التبرع منه. وكان هناك أيضاً الرفيق الدكتور يوسف جبران الذي كان الرفيق جوزف يرسلني إليه برفقة أحد المرضى من عائلات الشهداء أو الأسرى للمعالجة ولجلب أدوية مجانية من العينات والنماذج التي كانت تأتيه. وأيضاً وبشكل دائم الدكتور بيار دكاش الذي كان يعالج الرفيق جوزف ويجري عمليات جراحية مجانية للقوميين وعائلاتهم.

كانت هناك عدة لجان للحزب منها السياسية والمالية، ولجنة العفو عن المسجونين أذكر من أعضائها الرفيق جوزف وتيودور رعد شقيق الرفيق إنعام رعد والدكتورة مي سعادة والرفيقة رؤوفة الأشقر والرفيقة أمل الأشقر. وكانوا

يجتمعون بمكتب المحامي مخايل الضاهر الذي كان موكلاً للدفاع عن السجناء، وكذلك المحامي أسعد الشمالي والد الرفيق فؤاد الشمالي.

وأذكر أنه نشأت في مرحلة الانتخابات النيابية لجنة حزبية سياسية مهمتها الاهتمام بالانتخابات والاجتماع مع المرشحين وإقناعهم بقانون العفو عن السجناء القوميين المقترح من اللجنة. وكان النواب والمرشحون مترددين في التوقيع على هكذا قانون خوفاً من المكتب الثاني. وكنت مسؤولاً عن تأمين وتحديد مواعيد للرفيق جوزف مع النواب والمرشحين في مختلف المناطق. وفي إحدى المرات توجهت إلى منزل خليل الخوري بفردان، وهو ابن الرئيس السابق بشارة الخوري، وكان مرشحاً عن مقعد عاليه وهمست في أذنه أن مسؤول الحزب القومي يريد مقابلته، فصرخ بمعاونيه أن يخلوا المكتب للاجتماع بنا. وقد تم إقناعه بقانون العفو ووقع على النسخة الخاصة. وعندما أظهرنا للنواب الآخرين توقيعه تشجعوا وقاموا بالتوقيع. كما عُقد اجتماع مع النائب سليمان فرنجية قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية. وكان تيودور رعد المتحدث البارع يحاول إقناعه بالحجج القانونية، فقاطعه فرنجية قائلاً: "تيودور، أنا أعرفك متحدثاً بارعاً ومقنعاً ولكني سأوفر عليك. إذا كانت نسخة القانون معك فضعها على الطاولة لأوقعها". وبعدها كرة سبحة التواقيع والموافقات من النواب، وقد جمعنا حينها 49 توقيعاً من أصل 99 نائباً في ذلك الوقت.

وفي أحد الإتصالات مع القيادة الحزبية في الأردن، طرحت فكرة ترشيح عدد من الرفيقات كرؤوفة الأشقر والدكتورة مي سعادة للإنتخابات النيابية المقررة في أيار 1964. وأخذ العديد من النواب يتصلون بنا ويتبرعون للحزب، منهم محمود عمار الذي تبرع بمبلغ أعطاني إياه في مغلف مغلق قائلاً: "سلم على جوزف واعتذر لي منه على قلة المبلغ". وأرسلني الرفيق جوزف إلى نجيب صالحة لإحضار شيك من مكتبه بالطابق الثالث في فندق فينيسيا. دخلت وسلمت عليه وأخبرته أنني مبعوث من قبل جوزف رزق الله، فناولني الشيك الذي كان جاهزاً، وكانت قيمته خمسين ألف ليرة لبنانية، وهو مبلغ كبير جداً في ذلك الوقت. وأذكر أن الجائزة الكبرى لليانصيب الوطني آنذاك كانت تعادل ذلك

المبلغ. وكل هذه التبرعات مخصصة لمساعدة عوائل شهداء الحزب وسجنائه، وبالمقابل يدعم الحزب بأصوات مناصريه كل من ساعده ووقف معه.

وأذكر في إحدى المرات أنني توجهت إلى القصيبة للقاء الرفيق جوزف ، فوجدته منهمكاً بأعماله المكتبية وإعداد تقارير ورسائل للقيادة الحزبية في الأردن. طلب مني الجلوس على المكتب، وكلفني التدرب لتقليد توقيع معين. وبعد محاولات عدة أريته ما أنجزت، فقال لي: "عظيم ولكن يجب أن تتقنه أكثر". وكررت ذلك إلى أن نجحت إلى حد كبير. وبعدها طلب مني التوقيع على ورقة مطبوعة، وكانت عبارة عن تصريح له بالسفر إلى الأردن. أما توقيعي المزور فيقلد توقيع الضابط توفيق جلبوط. ذلك أن الرفيق جوزف كان من الأسماء الممنوعة من السفر إلا بموافقة رسمية وتصريح خاص، وكان مضطراً يومها للذهاب إلى الأردن لمقابلة القيادة المؤقتة.

ودائماً كانت هناك رسائل أكلف بتوصيلها منه أو إليه، فأقوم بأخذ رسائل منه إلى الرفيق بهجت الحلبي (ميشال) ليتولى إيصالها إلى عمان. وأيضاً رسائل استلمها من المحامي أسعد الشمالي كتبها الرفقاء السجناء لتسليمها إلى الرفيق جوزف. وكنت أقصد كثيراً مخيم برج البراجنة لتوصيل رسائل والتبليغ عن اجتماعات. كنا نعاني المشقات لأن عدد السيارات قليل جداً أو هي سيارات قديمة مهلهلة. وأحياناً نستأجر سيارة للذهاب إلى عكار أو بعلبك، وفي مرات كثيرة نضطر للتنقل سيراً على الأقدام في الليل من القصيبة إلى زندوقة لعلنا نصادف سيارة تقلنا إلى أقرب منطقة نقصدها.

وعلى الرغم من كثافة النشاط وتوسع الاجتماعات، إلا أن عملنا لم ينفضح وتنظيمنا لم ينكشف لمخبري المكتب الثاني. وبقي نشاطنا بمنأى عن أعين رقابة الدولة إلى حين استقال الرفيق جوزف من مسؤوليته واستلم الرفيق هنري حاماتي بتعيين من القيادة المؤقتة في الأردن. وتم التسلم والتسليم بلقاء عند "الاوتوماتيك"، إذ لم يكن أحد يعرف هوية الرفيق الذي سيحل مكان الرفيق جوزف. كان الرفيق جوزف يحمل نصف قطعة من عملة ورقية أرسلت اليه مع تعليمات بأن من يأتي إليه حاملاً النصف الآخر سيكون هو البديل. وكان لدى

الرفيق هنري النصف الآخر... وهكذا تمت عملية التسلم والتسليم بينهما!

وبعد ذلك أخذ التشدد في العمل السري يتراجع تدريجياً، فالرفيق جوزف كان لا يتهاون في هذا الموضوع. وقد تم تسليم الشقة إلى منفذية الطلبة وعلى رأسها المنفذ جورج قيصر، فانكشفت الشقة السرية ما أدى إلى استدعائي للأمن العام لأنها كانت مستأجرة باسمي. وكان بواب العمارة هو من بلغ عن النشاط الحزبي الظاهر فيها. فاضطررت للإختفاء عن الأعين لفترة من الزمن. وكنا نلتقي نهاراً في "كافيه دو لا بريس" بشارع الحمراء قرب مصرف لبنان مع عدد من الرفقاء بينهم هنري حاماتي والياس الديري وغسان الأشقر. وقد اقترح الرفيق غسان أن أنام في منزلهم عندما أواجه صعوبة في تدبير مكان آخر، وقال لي: "لو فتشوا لبنان كله فلن يخطر ببال الأمن أنك ستكون عندنا بالمنزل". واختفيت لفترة، وبعد أن خف السؤال عني ظننت أن الملاحقة توقفت فرجعت إلى المنزل ليداهمني عناصر المكتب الثاني عند الساعة الرابعة فجراً مع المختار. كنت جالساً بثياب النوم، أما ثيابي التي كنت أرتديها فتحوي أوراقاً حزبية مهمة. أبلغوني أنني مطلوب للتحقيق، فقمت وارتديت ثياباً جديدة غير تلك التي تضم الأوراق حتى إذا ما تم تفتيشي لا تقع تحت أيديهم. وكان هذا الاعتقال الثاني لي، كما تم القبض على الرفيقين غطاس غريب وجورج قيصر إلى أن بلغ عدد الموقوفين 37 رفيقاً. نقلونا جميعاً إلى ثكنة الأمير بشير حيث تم وضعنا في الاعتقال الإنفرادي، ومنه إلى التحقيق ثم إلى الإنفرادي مرةً أخرى. واستمر الأمر على هذا المنوال أكثر من أسبوع إلى أن تم نقلنا إلى سجن الرمل حيث حُولنا أيضاً إلى الإنفرادي. وكان يمنع التحدث معنا حتى من قبل حراس الزنزانة. وفي إحدى المرات أحضر لي الحارس أربع علب من دخاني المفضل، وعندما سألته عن المرسل لم يجاوب، بل اكتفى بوضع العلب أمامي وذهب.

بعد أيام أقدم شخص مجهول على طعن ناطور المبنى بموس، فأصابه بجروح بليغة لكن غير مميتة. قصدت الرفيقة أمل الأشقر كميل شمعون وطلبت منه أن يتكلم مع رئيس الجمهورية شارل حلو للعمل على إنهاء القضية بالتي هي أحسن سيما وأن هناك37 قومياً في المعتقل، ورفقاؤهم لن يسكتوا. اليوم بدأت

بطعن البواب، وغداً لا أحد يعلم ماذا سيحدث. ويمكن أن يكبر الموضوع إلى حد خطير. وبالفعل تواصل شمعون مع رئيس الجمهورية الذي استدعى مدعي عام التمييز فيليب خير وطلب منه إغلاق القضية بأية طريقة. كان قد مضى علينا في الاعتقال مدة شهرين ويومين عندما دُفعت الكفالات عنا. إنتظرتني أخت الرفيق بشير عبيد وابنتها بسيارة على باب السجن لنقلي إلى المنزل. بعد أيام التقيت الرفيق جوزف الذي أوصاني بالحذر الشديد في تلك الفترة. ثم استحصلت على جواز سفر بطريقة معينة، مع العلم بأنه كان من الممنوع إصدار جوازات سفر لنا. وسافرت إلى الكويت لأنها في ذلك الوقت لم تكن تشترط تأشيرة دخول للبنانيين.

مرويات الأمين بهجت الحلبي (أبو الوليد . ميشال)

لقاء الرفيق جوزف رزق الله

في البداية أود التنويه إلى أن الفضل الأول لنجاحنا وتوفقنا في عملنا يعود إلى مجموعة من الرفقاء والزملاء المخلصين الذين كانوا معي في الجيش، وكنت مدرباً لمعظمهم. ولكن بسبب سوء التصرف أو لنقل سوء الإدارة عندنا في الحزب، لم يعلمونا بأمر الانقلاب سنة 1961 وإلا لكنا نحن ذهبنا لاعتقال فؤاد شهاب. غير أنهم أرسلوا أناساً لا يعرفون مثلنا. كنت أقف في باحة المعسكر وأصرخ: "العسكري الذي يريد أن يموت معي فليأتي إليّ"، فكان يتجمع حولي مئات العسكريين المخلصين. ولم يكونوا جميعاً قوميين، إنما تجمعنا الإلفة والمحبة. حضرنا معاً حوادث سنة 1958، وبعدها أصبح هناك تآمر كبيرعلى الجيش وتم إضعافه. وصار أغلب الجنود يتركون الجيش للإلتحاق ضمن المقاومة الشعبية. ونحن في عداد الجنود الذين لم يتركوا الجيش واستمرينا بالمحافظة على شرف الجيش وكنا مقاتلين شجعاناً وأشداء. وبعد فشل الانقلاب تم تسريح معظمنا من الجيش، حوالي 550 عسكرياً من رتبة جندي إلى رتبة زعيم. أعلى رتبة فينا كان الزعيم لبكي. تم تسريح رتباء وعقداء وكل الرتب من دون إنذار، فقط بسبب "الانتماء إلى أحزاب سياسية". لم تكن هناك أية محاكمة أو أية إجراءات إدارية... فقط تسليم ورقة التسريح ومع السلامة! هؤلاء الجنود الذين كنت مسؤولاً عنهم انتقل بعضهم إلى الأمن العام وآخرون إلى قيادة الأمن الداخلي . القسم الإداري.

أصبحت بلا عمل بعد تسريحي من الجيش. وكان إبن عم لي قد عاد من البرازيل ولا يرغب بوضع أمواله في البنك وأخذ ربى، فطلب مني أن أشتري له فندقاً في بيروت وشرطه الوحيد أن أقوم أنا بإدارته شخصياً. فاشتريت له نزلاً يدعى "نزل بهجة الشرق" في شارع غورو مقابل فلافل فريحة بعد ساحة البرج، وكان الشارع يحوي العديد من الفنادق يميناً ويساراً. وعندما علم الزملاء الذين ما زالوا بالخدمة أين مكان إقامتي وعملي، أخذوا يزورونني وينقلون لي كل الأخبار المهمة التي تحصل معهم في الثكنة. وكنا نقضي معظم وقتنا في قهوة تقع فوق سينما دنيا. وفي إحدى المرات، كانت هناك مشاكل واعتراضات بالثكنة فجمعهم النقيب يوسف منصور، وكان رجلاً مشهوداً له بالشجاعة وقد انزعج كثيراً لتسريحي، فقال لهم: "أنا متأكد أنكم عصابة واحدة. ولكن لا أدري من هو رئيسكم، فلو أن بهجت الحلبي موجود هنا لكنت قلت مئة بالمئة أن رئيسكم هو بهجت الحلبي".

وذات يوم زارني أحد الزملاء من آل غزال من عيتنيت، وكان قد انتقل إلى شعبة قوى الأمن الداخلي . القلم الإداري. أخبرني أن ملفي وصل إليه اليوم، فسألته: وماذا فعلت بالملف، ألم تتلفه؟ أجابني قائلاً: لا أستطيع ولكني قادر على إخفائه لحين سؤالي عنه. وإذا سألوا عن الملف، فعليّ حينها إظهاره. وإذا لم يسألوا عنه، فملفك نائم. فقلت له: دعه نائماً الآن كي أكسب الوقت واستحصل على جواز سفر.

كانت تربطني ببعض الشباب الموجودين في الأمن العام علاقات صداقة ومودة، وسبق لي أن قدمت لهم الكثير من الخدمات والمساعدات التي كانوا يطلبونها مني عندما كنا بالجيش. وعندما اجتمعت بهم على فنجان قهوة، سألوني عمّا إذا كنت بحاجة إلى أية خدمة، فقلت لهم إني أريد تصريحاً بالسفر إلى الشام. سألوني لماذا الشام وما الهدف من الزيارة؟ فأجبتهم أني في علاقة غرامية مع فتاة هناك وأرغب بالزواج منها، لذلك يجب أن أحصل على تصريح لزيارتها مرات عدة. فاستفسر أحدهم من زميله عمّا إذا كان لديهم ملف حولي، فأجابه بالنفي. فطلب منه أن يصدر لي تصريحاً بالسفر أستطيع بموجبه أن أغادر لبنان

من جميع الجهات ولمدة ستة أشهر. وهذا ما حدث...

في ذلك الوقت كنت أنا وجاد الله دويك وحسين دويك المسرحون من نفس الثكنة نلتقي بصورة دائمة. في إحدى المرات أخبرني جاد الله أن المنفذ العام (ج. س.) في سن الفيل يرسل العديد من الأشخاص ممن كانوا بالجيش اللبناني إلى الأردن لتوظيفهم بالجيش الأردني، فلم أصدق الموضوع. ذهبنا معاً للتعرف إليه ومقابلته، فوجدت هناك أيضاً الرفيق غطاس غريب الذي كان زميلي بالجيش وتم تسريحنا سوياً بعد الانقلاب. وكان غطاس يرافق (ج. س.) دائماً لمباريات التيرو والأكل والشرب في المطاعم، وأحياناً يقول له يجب علينا زيارة عائلة الأسير فلان ومقابلة زوجة الشهيد فلان وغير ذلك. وعند دخولنا للتعرف إلى الرفيق (ج. س.) وجدته جالساً نافشاً ريشه ويتصرف بعقلية الرياسة. والحقيقة أنني لم أرتح إليه منذ النظرة الأولى، وقلت للرفيق غطاس: "هذا شخص مدع"، فلم يوافقني الرأي في البداية.

بقيت غير مقتنع به، ولم أصدق ما يقوله من أنه أرسل إلى الأردن رفقاء وتم تدبير عمل لهم هناك. وقال لي مؤكداً "سوف أرسلك إلى الأردن لتذهب عند الرفيق الدكتور جورج صليبي الذي سيدخلك في الجيش الأردني". وقررتُ مسايرته في الموضوع مؤقتاً، لكنني داخلياً وعقلياً لم أثق به خاصة أنه لم يكن يتكلم كلاماً قومياً اجتماعياً. وعندما استفسرت عنه، أخبروني أنه كان شيوعياً وجاء إلى الحزب مدعياً أنه منفذ عام منطقة النبعة ـ سن الفيل. ثم دعاني لزيارة الرفيق جوزف رزق الله بقصد التعرف إليه. لكن تبيّن لي أني أعرف الرفيق جوزف من قبل، وإن كان شكله قد تغيّر عليّ. فقد كنت أعرفه منذ العام 1958 عندما كان يعمل مدير إدارة جريدة "الجيل الجديد". وكان حينها بشوارب كثيفة. فأخذ (ج. س.) يخبر الرفيق جوزف عن السهرة، ويتباهى بأنه يرسل الشباب إلى الأردن. فأجابه الرفيق جوزف: "حبذا لو كان بإمكاننا أن نرسل أحداً إلى الأردن، فليس لدينا أي صلة بأحد هناك". وعندما هممنا بالانصراف، همست بأذن الرفيق جوزف أنني مستعد للذهاب إلى الأردن، فقال لي: دعني أراك غداً.

الرحلة الأولى إلى عمان

في اليوم التالي ذهبت إلى الرفيق جوزف، فأعطاني رسالة "مدبسة" كي أوصلها إلى عمان وقال لي: "إذا تم القبض عليك إبلعها". فقلت له لكن الدبوس يمكن أن يمزق معدتي! أجابني: "تصرّف... دبر حالك". قررت السفر إلى الأردن يوم الخميس التالي، فذهبت إليه يوم الاثنين للإستفسار منه عن العنوان. قال لي: "لا أعرف سوى أنهم موجودون في أوتيل فيلادلفيا فقط. لا يوجد عنوان، لكني سأعطيك بطاقة للمرور على مكتب نزار المحايري في الشام، يمكن أن يعرف معلومات أكثر عن الرفقاء".

وكان في الفندق بصوفر نزيلة سعودية تنوي الذهاب إلى الشام. كنت أقدم لها المساعدة لأن زوجها مريض بأحد مستشفيات لبنان. وكنت أصطحبها إلى السفارة السعودية وأشتري لها الحوائج التي تطلبها لتأخذها هدايا معها. طلبت منها أن تحمل لي تلك الرسالة، فوافقت قائلة: "من عيوني الاثنين". وأخبرتها أنه إذا تم القبض عليّ فأنا رجل حزبي، وعليها أن تنكر معرفتها بي سوى أننا نترافق رحلة السيارة إلى دمشق فقط. وشددت عليها بأن لا تسلم الرسالة إلا لي شخصياً، فإما أمرّ أنا لاسترجاعها أو أرسل لها أحداً من قبلي لتسلمها.

ذهبت إلى (ج. س.) وطلبت منه إعطائي رسالة إلى الدكتور جورج صليبي كما وعدني للعمل في الأردن لأنني بحاجة ماسة إلى المال لتغطية متطلبات المعيشة. فأحضر دفتراً صغيراً وكتب رسالة للدكتور صليبي بالحبر الأحمر. وضعت الرسالة في جيبي، وقلت في نفسي إنه إذا تم القبض عليّ أسلم تلك الرسالة وأقول إن الذي أرسلني هو (ج. س.).

في اليوم التالي باشرنا الرحلة. وعندما وصلنا إلى الشام أخذت الرسالة من تلك السيدة مع تقديم الشكر لها. ثم استقليت تاكسي إلى الفرنسيسكان ورحت أتجول سائلاً عن بيت "محمد المحايري" على أمل أن يقولوا لي هنا بيت المحايري ولكن نزار أو عصام وليس محمد! وبهذه الطريقة أبعد عني الشبهة وخطر القبض عليّ. وصلت إلى دكان غسيل وكوي أمامه عدد من الشبان فسألتهم عن بيت "محمد المحايري". فأجابوني أنه لا يوجد "محمد" هنا.

لكنني كررت القول: كيف ذلك، هذا الذي ابنه بالسجن. فقالوا لي: تقصد بيت عصام المحايري. فقلت: صحيح. ضحكوا جميعاً بعد أن فهموا الموضوع ودلوني إلى بيته.

وصلت المنزل. قرعت الباب ففتحت والدته. صبّحت عليها وسألتها ما إذا كان نزار موجوداً، فأجابت بالنفي. أخبرتها أنني من لبنان، وأنا قادم لرؤية الأستاذ نزار. فدعتني مباشرة إلى الداخل واستقبلتني بالترحاب، وأدخلتني إلى الصالة حيث طلبت لي القهوة من المساعدة المنزلية. وأخذت تستفسر عن أحوالنا في لبنان، وقد قلت لها إن اسمي محمد على أساس أنني لا أعطي اسمي الحقيقي لأحد من الوهلة الأولى. بعد فترة قصيرة وصل الرفيق نزار فحييته بالتحية القومية، فأجابني بكلمة "أهلاً" حيث أنه لم نتعارف سابقاً. أعطيته بطاقة التعريف من الرفيق جوزف، وطلبت منه أن يدلني على مكان سكن الرفقاء بعمان لأنني سوف أكمل رحلتي إلى هناك. وأبلغته أن اسمي الحقيقي ليس محمد بل هو بهجت الحلبي، وأريته هويتي وتصريح السفر. لكنه لم ينظر إلى الأوراق بل قال لي: سوف أعطيك رقم الأمين زهدي الصباح، فأنا لا أعرف العنوان. والأمين زهدي هو مراسل وكالة "يونايتد برس" في وسط عمان.

أخذت التاكسي وسافرت مباشرة إلى عمان حيث نزلت في أحد الفنادق. ثم أخذت تاكسي أخرى وطلبت من السائق أن يقلني إلى أوتيل فيلادلفيا مباشرة. وصلت إلى استعلامات الفندق، وكنت مرتدياً بدلة، فسألت عن الدكتور جورج صليبي. استفسر الموظف عمن أكون، فأخبرته بأنني قريبه. طلب مني هويتي، وبعد أن نظر فيها قال: أنت لست قريبه. فأجبته بأني أخصه أكثر من أقربائه الذين يحملون اسم العائلة. فعلق قائلاً "أنت من الشباب الطيبة". فقلت له نعم أنا من الشباب الطيبة. فأفادني بأن شبابكم رحلوا من هنا وسكنوا بجبل عمان الدوار الثالث جنب نادي الضباط.

توجهت إلى العنوان الجديد ورحت أحوم حول المنزل فلم أشاهد أحداً. سألت عن مستشفى المعشر الذي يعمل به الدكتور جورج صليبي ليتبيّن لي أنه يبعد عن عمان عشرة كيلومترات. فذهبت إلى هناك وسألت عنه، فقالوا إنه لا

يداوم هنا إلا يوم الأربعاء. رجعت إلى الفندق، وكان إلى جانبه دكان سمانة. طلبت من صاحبه أن يطلب لي رقم الهاتف، فرد علي شاب أخبرته أنني من لبنان وأريد التكلم مع زهدي الصباح. سألني من أين أتكلم؟ فاخبرته عن الفندق وحانوت السمانة. قال: إلزم مكانك وسوف نرسل شخصاً لإحضارك. وقفت أنتظر مقابل الدكان من الناحية الأخرى، لأرى بعد قليل شاباً قادماً وهو يسير بخطوات عسكرية. وعندما وصل، سأل صاحب المحل: أين الشاب الذي تكلم من عندك بالهاتف؟ فتلعثم صاحب المحل، لكني صرخت من الجانب الآخر: أنا هنا. فرحّب بي قائلاً بنبرة جادة: أهلاً تفضل معي. ومشى أمامي مسرعاً بنفس الخطوات العسكرية، فقلت له: يا أخ ما اسمك؟ فأجابني: خالد. فتابعت كلامي قائلاً: ولماذا تمشي هكذا، إذا كان قصدك أن تخيفني فأؤكد لك أنني لا أخاف. فضحك وقال: هذه طبيعة مشيتي.

وصلنا الى المكتب حيث وجدنا رئيس المكتب جالساً إلى مكتبه وإلى جانبه آخرون. وبعد السلام سألني عمّا أريد، فأجبته بأنني أريد التحدث مع الأستاذ زهدي الصباح. قال لي إنه طار اليوم إلى الكونغو ضمن عمله الصحافي في "اليونايتد برس". فوقع الخبر عليّ كالصاعقة وانزعجت للغاية. فقال لي: يمكنك أن تخبرني أنا. أجبته بحدة: لا، أنا لا أخبر أحداً إلا الأستاذ زهدي مباشرة فهذا الشيء يخصني ويخصه فقط. عندها كشف لي هويته قائلاً: أنا منفذ عام منفذية عمان العامة. وقفت وأديت له التحية الحزبية. فدعاني لشرب القهوة، قائلاً إنه سيرافقني إلى مقصدنا. وعند الانتهاء ذهبنا إلى نفس البيت الذي كنت أدور حوله، ودخلت إلى هناك لأجد الرفقاء إميل رعد ويوسف المعلم وجورج صليبي. وكان الرفيق عبدالله قبرصي قد خرج قبل وصولنا بقليل. وكان هناك أيضاً الرفيق علي غندور وعدة رفقاء آخرين لا أذكر أسماءهم.

بعد السلام والتعارف، سألوني عن الهدف من زيارتي فأعطيتهم الرسالة. ولما قرأوها وجدوا فيها الكثير من التشاؤم. قالوا لي: لماذا ينظر الرفيق جوزف بنظارة سوداء إلى شؤون الحزب، فالأمور ليست كما يراها. وأخذوا بإعطائي المحاضرات والعظات، وطلبوا مني أن أبلغ الرفيق جوزف بضرورة نزع النظارة

السوداء ووضع النظارة البيضاء... وغير ذلك من الأمور الحزبية. وعندما قدمت الرسالة الأخرى إلى الرفيق جورج صليبي، إستغرب وسألني من هو المرسل؟ فأخبرته أنها من (ج. س.) الذي يزعم أنه يرسل العديد من الأشخاص ليتوظفوا بالجيش الأردني. فقال لي الدكتور صليبي إنه يريد أن يسلمك لقوى الأمن بهذه الرسالة. وعندما أعدت سؤال الدكتور صليبي عن مدى معرفته بالمرسل، ردّ بسيل من الشتائم على هكذا أشخاص مدعين ومنافقين.

قال لي الرفقاء إنهم في هذه الحالة لا يمكن أن يرسلوا معي رسالة جوابية خطية. فقلت لهم إن ضيعتي ينطا تقع على الحدود، ويمكن أن أنزل قبل حاجز الأمن العام وأتسلل مشياً بالأحراش وأكون في بيتي خلال نصف ساعة، فلا مانع من حمل رسالة خطية. وكان الجواب أنهم متأكدون من أن رسالة (ج. س.)هي لتسليمي عند العودة، وفور دخولي إلى لبنان سيتم القبض عليّ. ولكنهم سيعطوني رسالة شفهية. فتجادلت معهم بحجة أن ذاكرتي ضعيفة، فقالوا لي إن ذاكرتك غير ضعيفة ولديك سبعة أيام لتحفظ الرسالة عن ظهر قلب. وهكذا كان. ورجعت إلى بيروت لألتقي الرفيق جوزف مساء يوم الخميس أي بعد أسبوع على تكليفي بالمهمة. وعندما وصلت إليه صرخ بي: "أما زلت هنا؟" فقلت له لا، بل ذهبت وعدت. ففرح كثيراً. وأخبرته بما حدث معي في الأردن. وطلب مني أن أقطع علاقتي مع (ج. س.). فقلت له إني ذاهب إليه لإحضار الرفيق غطاس، وسنعمل لتشكيل نواة عمل حزبي مع الرفيق جوزف، وكذلك الرفقاء توفيق الحايك وملحم الغاوي وعبد المجيد محيو. وكلفني الرفيق جوزف بالذهاب إلى مكسي على مدخل البقاع لدعوة الرفيق شفيق راشد أيضاً. وصلت إلى حانوت سمانة قرب مدرسة البلدة، وكان فيها رجل عجوز فطلبت منه بعشرة قروش البسكويت والراحة. وأخذت بسؤاله عن المدرسة فحسبني مفتشاً تربوياً وراح يمتدح الأستاذ شفيق ويصفه بأنه ممتاز ولا مثيل له. نزلت إلى المدرسة حيث قابلت الأستاذ شفيق وأخبرته أنني من قبل الرفيق جوزف، وهو يدعوه مساء إلى بيروت لعقد اجتماع، فلم يتردد على الإطلاق.

أدرك الرفيق جوزف أنني رجل المهمات بالأساس، فكان يقوم بإرسالي إلى

الأماكن الحساسة والأعمال المستعصية. وعندما يحتاجني يتصل بي مباشرة بعد أن توظفت بالمصنع عند الرفيق عبد المجيد محيو. وكان يخاطبني قائلاً: "ميشال (وكان هذا اسمي الحركي) أريدك ضروري". فأقول له أراك بعد العمل، فنلتقي ليكلفني بالمهام المطلوبة.

وهكذا استأنفنا العمل الحزبي. إصطحبني الرفيق جوزف إلى رومية حيث عرّفني إلى الرفيق (ج. ح.). وكنت أجمع الشباب الأشداء بالغرب والغرب الساحلي مثل الرفيق شاهين عبد الخالق، وكان عنده سيارة، لنقوم بالجباية المالية من الرفقاء. وكان هناك توزيع للأدوار، فأنا لا أسأل الرفيق توفيق الحايك أو الرفيق شفيق راشد ماذا يعمل، فلكل واحد منا دوره ووظيفته بكامل الانضباط والوعي. فقط كنت أسأل أنا عن نفسي وما هي مسؤوليتي. واستطعنا في خلال ستة شهور من إعادة تنظيم العمل بين القيادة والرفقاء وفروع عبر الحدود. وكانت تعقد كل أسبوعين اجتماعات اللجنة السياسية للحزب التي لا أعرفها شخصياً، لكني كنت قد عرفت أن الرجل الخفي في بيروت هو عبود عبود وكان معروفاً فقط من قبل الرفيق جوزف. وطلب مني ما يزيد عن الخمس مهمات في البداية للذهاب إلى عمان لتوصيل الرسائل ذهاباً وإيابا من دون أن أعلم فحواها. وكانت لدي طريقة لإخفاء الرسالة بالحزام لا يدري عنها أحد. وكنت أتحدى الرفقاء والأمناء بأن يفتشوني ليعثروا عليها.

رحلة جوزف إلى عمان

في مشواري الأخير إلى الأردن أبلغني المسؤولون بأن الرسائل لم تعد تنفع. فقد تشكل مجلس قيادة مؤقتة في لبنان وآخر في الأردن ويجب أن يجتمع الرفقاء مع بعضهم للتنسيق، ولذلك يتوجب على الرفيق جوزف أن يأتي إلى عمان. أبلغت الرفيق جوزف، فطلب مني مرافقته للأردن، فأعلمته أنه لا يستطيع الذهاب، لكنه أصرّ. قلت له إنه لا يستطيع التحمل. فقد كان وزني 64 كيلوغراماً في ذلك الوقت وأستطيع المشي بالثلوج لساعات بينما الرفيق جوزف ممتليء الوزن ورجله مكسورة وأجريت له عملية بالقلب ويعاني من وجع في الظهر! لكنه أصرّ على الذهاب معي من دون المرور بحواجز الأمن العام، أي سيراً عبر الجبال.

تجهزنا بجزمات كاوتشوك للثلج، واستعرت من عم لي سترة واسعة من الجلد. وعند ساعة الصفر إنطلقنا إلى قرية ينطا. أوصلنا الرفيق سامي شقيق الرفيق جوزف بسيارته الفوكس فاغن إلى أبعد نقطة يمكن أن تصل إليها السيارة، ومن هناك نعبر مشياً على الأقدام الحدود إلى الجانب الشامي (الرفيق سامي نفذ معي أكثر من مهمة). ثم يلاقينا الرفيق سامي بالسيارة بعد أن نقطع الحدود، واتفقنا معه أنه إذا سبقنا عليه أن ينتظرنا عند مدخل الوادي وإذا سبقناه نحن سنترك له إشارة حجرين معمرين بطريقة خاصة على جانب الطريق يلاحظهما هو فقط. وكنا رفعنا قليلاً مصباح السيارة لجهة اليمين فنستطيع ملاحظتها عن بعد من خلال ضوئها لنميزها عن باقي السيارات.

كنا بحاجة لساعة من المسير تقريباً. كانت الثلوج تكسو الجبل، ورحت أمشي لأمهد الطريق أمام الرفيق جوزف، ومع كل خطوة رجلاه تغوصان لحدود الركبة من كثافة الثلج في ذلك الوقت. وكنت أسبقه بمسافة، وعندما يحصلني يجدني منتظراً أدخن وأحتسي الكونياك وأغني العتابا والميجانا. وفور وصوله يصرخ بي: "أنت تغني في هذه الظروف؟" ثم نتابع سيرنا الشاق. لاحظ الرفيق جوزف أثناء مرورنا أسلاكاً شائكة فسألني عنها. أخبرته أنه حقل ألغام مضادة للدروع، والثلج فوقه متران، وهو بحاجة إلى وزن طن لينفجر فلا يأبه بذلك. استطعنا تخطي حقل الألغام، وتجاوزنا الصخور الصعبة المغطاة بالثلوج والتي لا نستطيع تميزها لتصبح مثل الأفخاخ، وأي سقطة تؤدي إلى الكسر حتماً. وبعد أن قطعنا نصف المسافة تقريباً شعرت بأنه أصيب بتعب شديد، فطلبت منه أن يجلس ليرتاح قليلاً. لاحظت أن هناك قناة مياه مجمدة لا تغطيها الثلوج، فقمت بفتح طريق ليمشي عليه الرفيق جوزف من دون أي عناء ومن دون أن يغرق بالثلج حتى ركبتيه. وكنت أمشي حوالي 200 متر ثم أنتظره. وقد لاحظت عليه الإعياء والتعب الشديدين، فأخبرته أنه لم يبقَ أمامنا سوى أن نقطع ضفة ذلك النهر لنصل إلى الطريق العام. وسألته ما إذا كان يستطيع أن يتحمل ذلك لأنني لا أستطيع حمله. فأشار عليّ بالمتابعة. وهكذا عبرنا إلى الضفة الأخرى ووصلنا إلى الطريق العام حيث وجدنا الرفيق سامي بانتظارنا. تقدم الرفيق سامي بسرعة

لأصعد أنا إلى المقاعد الخلفية والرفيق جوزف في المقعد الأمامي. وفجأة أصابته نوبة ضيق تنفس وقشعريرة برد. فأخذنا نفرك جسمه ليدفأ، فشعر بعدها بالتحسن التدريجي. ثم وصلنا إلى ميسلون، وكنت أسأله عن وضعه فيجيبني بأنه بخير وأنها أزمة ومرّت.

أكملنا إلى الشام، فطلب منا أن نذهب إلى مطعم لتناول الطعام وأخذ قليل من الراحة قبل أن نكمل إلى الأردن. أنا أعرف مطعماً بالمرجة يدعى مطعم الحاج سحلول، وكنت دائم التردد إليه فبات معظم العاملين فيه يعرفونني. طلبنا الغداء وطلبت زيادة صحناً من الشورباء بقيمة 15 قرشاً سورياً، فعاتبني الرفيق جوزف على ذلك. غضبت حينها، وقلت له بنبرة قاسية إنني سأسدد الثمن من جيبي وسوف أرجع إلى بيروت ويمكنكما أن تكملا من دوني. فنحن نمشي منذ أكثر من ساعتين ونقطع الجبال سيراً، وليست مشكلة إن طلبنا خمسة عشر قرشاً زيادة فهي لن تكسر الحزب! أجابني بهدوء: لا تزعل، فيجب أن نوفر على الحزب. صحن الشورباء هذا لا لزوم له. يجب أن نكون ملتزمين ونضحي في سبيل الحزب.

أكملنا المسير ووصلنا إلى درعا. قلت لسامي بأن يسجل السيارة بالجمرك ويعطيني التذاكر، وكانت الساعة قرابة الحادية عشرة والنصف ليلاً. أخذت التذاكر وسجلتها بعد أن مازحت العسكري الذي ارتاح لنا، فطلبت منه أن يعجلنا لأن مشوارنا طويل إلى القدس والوقت أصبح متأخراً. فعجّل لنا التحرك، وقمت أنا بفتح العامود الخشبي بعد أن طلبت من العسكري أن يبقى مرتاحاً. وفي الرمتا، عند الحدود الأردنية، سجلنا الدخول النظامي.

وصلنا إلى عمان، وعقد الرفيق جوزف إجتماعاً مطولاً مع المسؤولين بينما كنا نحن ننتظر في جبل التاج حيث استأجر الرفقاء شقة سكن للرفيق إسماعيل الخنسا من الشام (كلية الشهيد غسان جديد) ووضعوا فيها العديد من الأسرّة العسكرية التي تثبت فوق بعضها البعض. وعندما كنت أزور عمان، أو يزورها أي رفيق آخر من لبنان، كانت هذه الشقة مكان إقامة لنا.

ذهبنا إلى رام الله حيث تغدينا ورجعنا في اليوم ذاته. ثم قصدنا مدينة القدس

بصحبة الرفيق جوزف وزرنا كنيسة القيامة. أصابتني قشعريرة من الخشوع والسكينة لجلالة المكان. قضينا ثلاثة أيام في الأردن إلى أن أنهى الرفيق جوزف اجتماعاته. ورجعنا بنفس الطريق، وكان الثلج متحجراً وقاسياً وليس خفيفاً كما في رحلة المجيء. أوصلنا سامي عند الغروب إلى الوادي وأكملنا سيرنا صعوداً. وصلنا ينطا وكان الظلام قد حلّ، فلمحنا ضوء سيارة جيب عسكرية. طلبت من الرفيق جوزف أن يختبئ خلف الصخرة، أما إذا سألوني فأنا من نفس الضيعة وهذه ضيعتي ولا علاقة لهم بي. لكن الجيب مرّ من دون أن يكلمني سائقه. أكملنا سيرنا إلى أن التقينا سامي. وفي شتوره طلب منا الرفيق جوزف أن نفترق ونغيّر السيارة. فنادى رفيقنا كميل حنوش الذي يعمل في بلدة جديتا في ذلك الوقت، فقام بالنزول بسيارة الألبان وأكملنا نحن طريقنا بسيارة الفوكس فاغن إلى بيروت.

وبعد استئناف النشاط الحزبي السري، كانت لنا جولات مع زبانية فؤاد شهاب. في أحد الأيام وصل إلى مسامع المفوضية العامة في لبنان أن مسؤولي الأمن العام والشعبة الثانية يتبجحون بأنهم تمكنوا من اقتلاع الحزب القومي من لبنان. لذلك تم ترتيب عقد لقاء حزبي وتسريب موعده إلى الأجهزة المعادية، ومضمونه أنه سيجري خلال اللقاء تسليم مستند حزبي مهم. وفعلاً قام أحد الرفقاء بتسليم رفيق آخر مغلفاً في مقهى وانصرف، ليهبّ أفراد المراقبة الأمنية وينتزعوا المغلف وفيه رسالة نصها:

الحزب السوري القومي الاجتماعي

حضرة الرفيق المحترم

يدعوك الحزب لحضور مؤتمر عام في جنيف في 16 تشرين الثاني.

وبالمناسبة، كان موضوع المؤتمر في جنيف مطروحاً كفكرة بين القيادة العامة المؤقتة في عمان والمفوضية العامة في بيروت من دون اعتمادها حتى ذاك الوقت.

وفي اليوم التالي نشرت الصحف بالخط العريض: "الحزب القومي في جنيف".

بعدها استدعى فؤاد شهاب مسؤولي الأجهزة الأمنية وأبلغهم التالي: "هؤلاء القوميون تقلعونهم من لبنان فيفرخون في حلب... أتركوهم".

وفي حادثة ثانية، وصل إلى علم المفوضية العامة في لبنان أن أركان الشعبة الثانية العقيد حيدر والجنرال جميل الحسامي وأنطوان سعد وغابي لحود يخططون للتخلص من فؤاد شهاب وتنفيذ أحكام الإعدام بالأسرى القوميين الاجتماعيين وتصفية من هم خارج السجون بداعي الغيرة على الوطن. تحرك مسؤولو المفوضية العامة على الفور وطلبوا من غسان تويني إبلاغ شهاب بما تحيكه الشعبة الثانية، وأن الاجتماع التالي مقرر يوم الأربعاء القادم. وفي الاجتماع الثاني تغيب غابي لحود فأدرك المتآمرون عندئذ أن الخطة فشلت. وبسبب شخصية شهاب المترددة، فإنه لم يعاقب أحداً منهم.

لم يتوقف قادة الشعبة الثانية وعناصرها عن إلحاق الأذى بالقوميين الأسرى وبعوائلهم. لذلك قررنا تنفيذ حكم الإعدام بحق خمسة ضباط كانوا هم المسؤولين مباشرة عن الظلم اللاحق بالقوميين سواء في السجن أو خارجه. وكنا متحمسين جداً للموضوع أنا والرفقاء لدرجة أننا أجرينا قرعة، فكان (س. خ.) من نصيبي في حين جاء العقيد (أ. ح.) من نصيب الرفيق شفيق راشد. لكن الرفيق جوزف طلب منا التريث قبل الإقدام على أية خطوة، وأمرني بالتوجه إلى عمان للوقوف على رأي القيادة المؤقتة وأخذ الموافقة منها.

وصلت إلى عمان واجتمعت على الفور بالقيادة. طلبوا مني معلومات أكثر تفصيلاً عن الموضوع، فأجبتهم: "لقد قررنا إعدامهم. عملياً نحن الحزب في لبنان، وهذا هو قرارنا. ونحن هنا فقط لنبلغكم بهذا الأمر". وعندما رأوا تلك الجدية والحماس في مناقشتي لهم، استبقوني يومين إضافيين في عمان. وأخذوا يشرحون لي خطورة الموقف لأن المسؤولين الأمنيين ينتظرون أية ذريعة بسيطة ليقوموا بتصفية القوميين الاجتماعيين في السجون وخارجها. وحذروني من هذا العمل المتهور، مؤكدين أنهم لن يسمحوا لنا بمس الضباط ولو بشوكة!

رجعت من عمان بهذه الرسالة الحازمة وأنا مقتنع أيضاً بوجهة نظر القيادة المؤقتة ومدافع عنها. فانزعج جداً من القرار الرفيق شفيق راشد واعترض بشدة

على هذا الأمر. فأجبته أن الموضوع ليس موضوع مرجلة، بل هذا قرار القيادة وعلينا تنفيذه بحذافيره. وإذا قمنا بهذه الخطوة، فعلينا أن نتحمل تبعاتها وما يمكن أن يحدث لرفقائنا السجناء وعددهم أكثر من 150 رفيقاً. وقد حمي النقاش بيننا وارتفعت أصواتنا، فتدخل الرفيق جوزف لحسم الأمر وقال إنه تم صرف النظر عن الموضوع فلنفكر بشيء آخر. خرج الرفيق شفيق غاضباً ومستاء جداً، وبقي الزعل بيني وبينه إلى أن التقينا في الاجتماع التالي حيث عادت الأمور إلى مجاريها.

الاتصال بالرفيق هنري حاماتي

طلب مني الرفيق جوزف أن أتصل بالرفيق هنري حاماتي وأدعوه إلى حضور اجتماع معه. وكان سبق للرفيق جوزف أن كلف عدة رفقاء للاتصال به فلم يستطيعوا نظراً إلى وجود نقطة للجيش أمام منزل الرفيق هنري تماماً. ونبهني إلى ضرورة الحذر إذ يمكن أن يكون منزله تحت المراقبة الدقيقة، لذلك كان يفشل الرفقاء الآخرون. قلت له إطمئن، فأنا عسكري وشاركت في الحرب وتعرضت لإطلاق نار ونار متبادل. كما أني رجل مهمات بينما هؤلاء الرفقاء الشباب طلبة يافعون وليست لديهم الخبرة الأمنية الكافية... فدع الأمر لي. توجهت إلى منزل الرفيق هنري في منطقة مار الياس بطينا بشكل عادي. دخلت المبنى حيث منزل الرفيق هنري بالدور الأول، لكنني صعدت إلى الدور الخامس كي أتأكد من أني غير ملاحق وأبعد الشك عني إذا كان المنزل مراقباً. وفي الدور الخامس أخذت اسم صاحب المنزل من جرس الباب، ونزلت بطريقة عادية. وعندما وصلت إلى الدور الأول قرعت جرس منزل الرفيق هنري، فأطلت زوجته التي أخبرتني بأنه غير موجود. أعطيتها الرسالة من الرفيق جوزف وأوصيتها بضرورة أن تصله. وأخبرتها أنه إذا أتى أحد ليسألك ماذا كنت أريد منكم فقولي له إنني كنت أسأل عن منزل فلان وهو جاركم بالدور الخامس. فضحكت وقالت لي: "لا يهمك، بالتوفيق".

وفي اليوم التالي توجهت إلى منزل الرفيق جوزف فوجدت عنده الرفيق هنري وهما يتناقشان بخصوص العمل الحزبي. دعاني الرفيق جوزف إلى

الجلوس والمشاركة بالنقاش. وكان الموضوع حول العمل الحزبي السري، بينما الرفيق هنري كان مع العمل العلني. أبديت رأيي بأنه لا إمكانية اليوم للعمل العلني فالوضع لا يسمح بذلك. فهل تريدنا أن ننام نومة أهل الكهف؟ لقد استطعنا بالعمل السري أن ننفذ كل الأعمال المطلوبة ونعيد تشكيل العمل الحزبي من دون أن نتعرض للإنكشاف والملاحقة والسجن. لكن وجهة نظره كانت أن القوميين المعروفين لدى الدولة مثله ومثل الرفيق جوزف يستطيعون العمل علناً حتى لو تعرضوا للاعتقال! فعلقت على كلامه قائلاً: وما الفائدة من ذلك؟ وارتفعت حدة النقاش بيننا، فتدخل الرفيق جوزف ليهدأ الوضع، وأفهمني أنه يجب أن لا ندخل بالجدال، فهذه وجهة نظره ويمكن أن يكون على حق. فلندرس الموضوع لما فيه مصلحة الحزب ونعمل لها.

كان الرفيق هنري يعمل في جريدة "الجمهور"، فنشر في اليوم التالي مقالاً قاسياً ضد الدولة والنظام والشعبة الثانية ولم يستثن أحداً. وصل المقال إلى فؤاد شهاب الذي استدعاه وقال له: إن فؤاد شهاب فخور بك يا هنري حاماتي، والمطلوب من كل الصحافيين أن يكتبوا مقالات مثل المقال الذي كتبته. ويمكنك أن تكتب الذي تريده وعلى حريتك، وأنا معك. بعد يومين توجهت إلى منزل الرفيق جوزف فوجدت الرفيق هنري هناك. وقد أخبرنا حرفياً ما حدث معه عند فؤاد شهاب مشدداً على حرية الرأي والأمان التي منحه إياها. في وقت لاحق تم فتح خط مع الرفيق هنري، لكنه لم يكلف بأية مهمات سرية حسب علمي. كلف فقط بأمور ثانوية كنشر مقال أو ما شابه ذلك. والسبب أنه كان مع العمل العلني، ثم أن الرفيق جوزف كان متأكداً من أن الرفيق هنري متابع من قبل الأمن العام بغرض الوصول إلى القوميين الاجتماعيين الآخرين لكشفهم وملاحقتهم، وبالتالي فضح العمل السري وإفشاله.

واصلنا عملنا السري. وأصبحت مكلفاً بالسفر إلى الأردن كل أسبوعين حيث كانت تعقد الاجتماعات الدورية مرتين في الشهر، ويتم تبادل الرسائل بين القيادتين. وفي آخر رحلة لي إلى عمان أوقفني موظف الأمن العام الأردني ليسألني عن الغرض من زياراتي المتكررة كل أسبوعين إلى عمان، وهذه الزيارة

العاشرة لي في أقل من ستة شهور. فأجبته بأني موظف حدادة إفرنجي، وعندما تسنح لي إجازة يومين أو ثلاثة آتي من بيروت إلى الأردن، فأصدقائي موجودون هنا وأنا أحب هذا البلد المضياف بلد الخير والنشامى. فجلالة الملك هو من يرحب بنا ويدعو أمثالنا لزيارة هذا البلد الكريم المعطاء. وعنواني ومكان إقامتي مسجل لديكم بطرس السمراني (وهو اسم الرفيق يوسف المعلم). وإذا كان عندك أي اعتراض فدعني أتصل بهذا الرقم أو سأعود إلى لبنان الآن. وأعطيته اسم الشخص المسؤول الذي زودني به الرفقاء في حال تعرضت لأية مشكلة. وعندما عرف الإسم إعتذر ورحب بي واستفهم عن معنى مهنة الحداد الإفرنجي، فقلت له إني ألحم بالكهرباء وأصنع الأسرة المعدنية والأثاث المعدني. فضحك وقال إنها حدادة فنية. فأجبته حدادة فنية عندكم وعندنا حدادة إفرنجية. وسألني عما إذا كنت أعرف شخصاً أسماه لي، فأجبته: ماذا يعمل؟ قال لي: هو تاجر. فقلت له: أنظر إلى يدي، أنا حداد لا أعرف بالتجارة ولا بالتجار. فضحك وسمح لي بالدخول.

وقد أخبرت المسؤولين في عمان عما حدث معي في الأمن العام من التدقيق والسؤال المكرر عن غرض الزيارة. فطلب مني الرفقاء أن أدرّب أحداً آخر غيري كرسول لأن عدد زياراتي تجاوز بالفعل عشر مرات. ويبدو أن موظف الأمن العام يحسبها بدقة. ومع أننا غير خائفين من الأمن الأردني فلدينا بينهم أصدقاء يقدمون لنا كل مساعدة، لكن الخوف من أن يكون هناك شخص مثل هذا الموظف، خاصة في ظل موجة جمال عبد الناصر والناصريين، فيمرر إسمي إلى الأمن العام اللبناني حيث أتعرض للملاحقة ما قد يسفر عن كشف الرفقاء والقيادة في لبنان.

فور عودتي إلى بيروت، أبلغت الرفيق جوزف بما حدث معي. فأعلمني أنه في المرة القادمة سوف يؤمن لي رسولاً يرافقني مرّة لتدريبه. فمن هو هذا الرسول؟ كانت الرفيقة عائشة، وهي زوجة الرفيق السجين حسين الصغير. كان عليّ تدريبها على كيفية عبور الحدود، وأيضاً كي أعرفها على الرفقاء والمسؤولين في عمان. كانت الرفيقة عائشة تتمتع بشخصية قوية وإرادة صلبة،

سمراء البشرة طويلة القامة وذات عينين بصيرتين تقدحان شرراً، ولكن تنقصها الخبرة بالعمل الأمني. قلت للرفيق جوزف إن الرفيقة عائشة تحمل شكل الثورة على وجهها ومباشرة تثير الشبهات، بينما يجب أن تكون ذات ملامح ناعمة بحيث عندما ينظر إليها موظف الأمن العام الأردني يسهّل لها الدخول فوراً عندما تبتسم له. فأجابني الرفيق جوزف: "عائشة يعني عائشة. دبّر حالك ولقنها كل الأمور بهذه الرحلة فهي سريعة التعلم".

إنتهزت فرصة أول رحلة جديدة إلى عمان لاصطحاب الرفيقة عائشة وتدريبها على إجراءات عبور الحدود، وكيف تتخلص من أية ورطة في حال وقوع ما ليس في الحسبان. ولم أشأ تحميلها مسؤولية نقل الرسالة في زيارتها الأولى، بل عمدت إلى توضيب ورقة جريدة ووضعتها في ظرف أبيض، وقلت لها إن هذه هي الرسالة التي عليها تخبئتها حتى لا تقع بيد أحد في أي مكان. وهي رسالة وهمية لكن عائشة لم تكن تدري بذلك. وفي الطريق رحت أشرح لها الإجراءات الأمنية، وحذرتها من الوثوق بأي كان، والمهم أن لا تثير الشبهات من حولها وأن تتحلي برباطة الجأش. وكان من الطبيعي أن ترتكب عدة أخطاء خلال الرحلة، أوضحتها لها في وقت لاحق. كما اخترعت لها قصة وهمية في حال سألها أحدهم عن سبب سفرها إلى عمان منفردة: "زوجي موظف، وأنا نذرت زيارة القدس. وأنا قادمة إلى بلد الملك حسين بلد النشامى مملكة الرجال حماة العرض والشرف ولا أحتاج إلى مرافق. أنا امرأة حرة لا علاقة لأحد معي، وزوجي يسمح لي بالسفر منفردة". وقد كانت الرفيقة عائشة ذكية وتلتقط الأمور بسرعة، فباتت موضع ثقة وناجحة في المهمات الموكلة إليها.

كان الرفيق جوزف حساساً للغاية، يريد أن يوزع العديد من المهام على عدة أشخاص لكنه لا يجد الكثير من الكفاءات أو الرفقاء القادرين على تحمل تلك المهام المنوطة بهم. إحدى المشاكل التي صادفته أن أحد الأمناء من الأشرفية جاء إليه معترضاً ومنزعجاً من أن أحد الرفقاء مرّ به صدفة وأدى له التحية القومية في الشارع! كما تلقى رسالة من أحد الرفقاء في عمان يقول فيها إن هناك 26 كاردينالاً بالحزب (يقصد حاملي رتبة الأمانة) ينزعجون ويثورون إذا قام الرفيق

بإلقاء التحية القومية عليهم في الشارع. وأخبرني مسؤولون حزبيون في الأردن، وأغلبهم من الأمناء، أن على الرفيق جوزف تخفيف الحملة عليهم لأن لديهم ظروفاً خاصة وعليهم تمرير الوضع الراهن. فكان جوابي: "على أي أساس نلتم رتبة الامانة؟ تتركوننا وحدنا نعمل تحت تهديد السجن والخطر، ثم تثورون وتعترضون إذا قام رفيق بأداء التحية الحزبية في الشارع"!

إيصال رفيق إلى الأردن

إتصل بي الرفيق جوزف طالباً مني التوجه إلى ديك المحدي حيث أبلغني أن هناك رفيقاً يجب أن أوصله إلى الأردن، وهو من دون أوراق ثبوتية. سألته عن طريقة إيصاله إلى عمان، فقال لي: "كما أوصلتني في المرة الماضية، وسيعاونك الرفيق سامي". ولهذا الرفيق قصة تعود إلى الخمسينات. فأخوته كانوا من مرافقي الأمين أسد الأشقر، وهو من السلط وقد هرب من معتقل لليهود في فلسطين وسلم نفسه للجيش اللبناني على الحدود. لكنهم وضعوه في سجن ثكنة الأمير فخر الدين للمدرعات، ولم يعلمونا بالأمر بتاتاً. إلا أن أحد رفقائنا في الجيش جاء إلى ديك المحدي وأبلغ أخوته، فتوجه الأمين أسد إلى الثكنة وأطلق سراحه. وبعد فشل المحاولة الانقلابية أعتقل مجدداً، وأدخل السجن. وبما أنه لا يملك أية أوراق ثبوتية، فقد أعطته دائرة الأمن العام مهلة شهر واحد لمغادرة الأراضي اللبنانية وإلا سوف يتم اعتقاله مجدداً، وهذه المرة من دون أمل بإطلاق سراحه.

تحدثت مع زوجة الأمين أسد عن الرفيق المذكور واسمه الأول محمد، ونادته وتعرفت عليه. وتبرع رفيق لنا من بيت حرب من العاقورة بايصالنا إلى رأس النبع حيث منزل أختي وارتحنا عندها قليلاً. وتأكدت من زوج أختي وهو من منسوبي قوى الأمن الداخلي أن هناك حاجزاً على جسر النهر، فسألت الرفيق محمد هل بإمكانك السير؟ فأجابني بالطبع. توجهنا مشياً إلى منطقة النهر، ومن ثم انتقلنا بالسرفيس إلى الأنطونية حيث كنت أسكن مع الرفيق الشهيد ساسين الديك (استشهد غدراً في أوائل السبعينات في الحدث على يد الكتائبي لويس كرم). وكلفنا الرفيق غطاس بأن يؤمن عن طريق أحد رفقائنا هوية لشخص ميت،

ونضع صورتين شمسيتين للرفيق محمد عليها. وأخذ ذلك الرفيق الصور على أساس أن ننتظر يومين ليؤمن لنا الهوية، لكنه اعتذر لاحقاً لصعوبة الوضع.

وبينما أنا جالس أفكر بحل للوضع، لاحظت الشبه القليل بينه وبين الرفيق ساسين الديك. فسألت الرفيق ساسين ما إذا كان يملك هوية قديمة؟ رد بالإيجاب وسلمني الهوية القديمة. أخذت شالاً وطلبت من الرفيق محمد أن يلفه حول عنقه، وقلت: "ألست ساسين الديك الآن بهذه الصورة؟" قال: نعم. قلت: تمام الليلة سنكون بالأردن. سأغيب عنك هذا النهار وعندما أعود مساء تكون قد حفظت اسم والدك ووالدتك وجميع بيانات الهوية بالتفصيل. وعليك أيضاً أن تغيّر لهجتك الفلسطينية وتتكلم باللهجة الطرابلسية كما الرفيق ساسين. هذه مهمتك الآن ونلتقي لاحقاً. وعند المساء أتى الرفيق سامي شقيق الرفيق جوزف وجهزنا أنفسنا للتوجه إلى الأردن.

وصلنا إلى المديرج حيث يوجد حاجز للشرطة العسكرية وعليه خفير من عائلة زعيتر كانت لي معرفة سابقة به. سألني عن وجهتنا، فقلت له: هل معك وقت لتذهب معنا، فإننا متوجهون إلى البردوني لشرب كأس. فأفسح لنا مجال المرور من دون تأخير. وفي شتورة اشترينا فاكهة متنوعة وبعض قناني العرق وغير ذلك. وما أن تحركنا للإنطلاق، حتى رأينا جيب الدرك يقطع علينا الطريق، ويسألنا من فيه عن هوياتنا. أجبتهم: أنا من ينطا وهؤلاء أصدقائي مدعوون للعشاء والسهر عندي. تفضلوا يمكنكم تفتيش السيارة، لا يوجد معنا إلا حوائج الجلسة. أخبر الدركي زميله بأننا من ينطا، فقال دعهم يمرون. قلت لسامي إن هذا هو القطوع الثاني الليلة، الله يستر من القطوع الثالث!

أكملنا طريقنا إلى ينطا وهناك قلت للرفيق سامي إن العبور هذه المرة سيأخذ أقل من ساعتين، أي قريب الخمس وأربعين دقيقة ونكون عند مدخل الوادي. فالآن لا يوجد ثلوج وأنا والرفيق محمد سيكون مشينا سريعاً ودون توقف. نزلنا سيراً باتجاه الحدود، بينما توجه سامي إلى الجديدة. وصادف أن رجال الأمن طلبوا منه أن يقل معه زميلهم المجاز، فرفض سامي بحجة أن هناك عطلاً ميكانيكياً بالسيارة. طلع الدركي المجاز بجيب عسكري أمنوه له، وسار في

المقدمة ولحق به سامي من بعيد. وعند وصوله إلى مدخل الوادي كان الجيب قد مرّ قبله بقليل. أشرنا إلى سامي فتوقف، واخبرنا ما حدث معه. قلنا له إن الجيب مر قبل وصوله بقليل، ولا داعي للقلق الآن. إنما الخوف سيكون في ميسلون عند المخفر فهناك حاجز غير ثابت، وإذا كان الجيب هناك سننزل من السيارة ويكمل هو طريقه إلى الشام ثم يعود لنقلنا بعد أن نكون قد قطعنا مشياً حوالي مئتي متر عن الحاجز. لكن عند مرورنا لم يكن هناك ما يثير الريبة إذ كان المخفر مغلقاً. أكملنا سيرنا بشكل عادي. وفي الطريق إلى الشام صادفنا الجيب نفسه يسير على مهل ومن دون إنارة، فطلبت من سامي أن يحفظ مسافة خمسمائة متر ولا يتجاوزه أبداً. وقد استغرقت طريقنا أكثر من ساعة على هذه الحال وهي بالعادة لا تستغرق أكثر من نصف ساعة فقط. وعند وصولنا إلى أول المعارض بالشام طلبت من سامي أن يأخذ اليمين ويتجه عبر الطرقات الفرعية، لأن الجيب سيكمن لنا بمنطقة المرجة عند الفنادق في حال كنا مستهدفين. فدخلنا الطرقات الفرعية حتى استلمنا طريق عمان.

وفي الرمتا لم نجد العسكري المسؤول عن الغرفة السوداء والذي سيدخلنا إلى عمان. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ليلاً. سألنا زملاءه الأمنيين عنه، فقالوا لنا إن دوامه يبدأ عند الساعة الثانية عشرة لكنه تأخر اليوم ولذلك علينا الانتظار للدخول. عرضنا عليهم أن نحضره بأنفسنا إذا كان بيته قريباً خوفاً من أن يأتي التفتيش ويعاقبه، فشكرونا على ذلك قائلين إنه سيحضر قريباً. قمنا بافتراش الأرض ووضعنا العشاء ودعوناهم لمشاركتنا الطعام فلم يأكلوا سوى تفاحة فقط. لكنهم ارتاحوا لنا. قضينا ساعتين في الانتظار من دون أن يأتي صاحبنا، فقلت لزملائه إنه تأخر كثيراً في نومه ونحن أمامنا مشوار طويل إلى القدس وهذا لا يجوز، فيجب أن نمر أو يأتي أحدهم معنا لجلبه من منزله. فوافق أحدهم وأقلنا إلى المنزل، لنفاجأ به نازلاً من البيت. قلت له نحن بانتظارك منذ أكثر من ساعتين. رجعنا إلى الرمتا وطلبت من الرفيقين إعطائي أوراقهما وانتظاري في السيارة. دخلت معه الغرفة وطلبت منه أن يعطيني تصاريح إفرادية للدخول. سألني إلى أين التوجه، فقلت إلى القدس وسنكمل طريقنا الليلة. أنجز لنا

تصاريح إفرادية ثم أتم التفتيش وغير ذلك.

كانت الساعة قد شارفت الرابعة صباحاً عندما وصلنا إلى شقة إسماعيل في عمان. أكملت سهرتي مع إسماعيل حتى الصباح ثم ذهبت إلى الرفيق يوسف المعلم وأخبرته عن الرفيق محمد وشرحت له كامل وضعه، وأنه الآن عند إسماعيل ونحن سنعود إلى لبنان. استرديت هوية ساسين الديك من الرفيق محمد، لكن في اليوم التالي وصل اسم ساسين الديك إلى الأمن العام الأردني، فراحوا يفتشون عنه في كل مكان. فقد فاتني أن الشهيد ميشال الديك هو من قام بإعدام رياض الصلح في عمان. ويبدو أن اسم ساسين الديك أثار حساسية لديهم ولذلك يريدونه فوراً للتحقيق. وأخذوا يسألون في جميع الفنادق والأماكن التي يتردد إليها الزائرون.

غادرنا الأردن إلى بيروت لنعلم لاحقاً أن الرفقاء أخذوا الرفيق محمد إلى الأمن وأخبروهم القصة كاملة، وأن هوية ساسين الديك لا توجد معه بل رجعت إلى صاحبها مع الرفيق الذي أدخله. وأكدوا لهم أن رفيقنا محمد من السلط ويمكن ان يتحققوا من ذلك. فتحققوا منه وتم إخراج جواز سفر اردني له بعد أن أوقف شهراً في الأمن. ولولا أن رفقاءنا كان لهم يد طولى بالأردن في ذلك الوقت، لكان من الممكن ان يسجن الرفيق محمد لفترة أطول بكثير خاصة لدخوله البلاد خلسة وللتزوير. وقد حاول الرفيق محمد رؤيتي بعد ذلك فعلمت أنه سأل عني بعد مضي فترة طويلة في المخيم بديك المحدي، فقالوا له إني توجهت إلى ينطا. ولحق بي إلى ينطا لكنه لم يوفق فكنت قد رجعت إلى ديك المحدي. ولم تشأ الصدف أن نلتقي مرة أخرى.

توزيع المساعدات على عائلات الأسرى

كان لدينا جدول كامل أعددناه مع الرفيق جوزف لعدد الأسر التابعة لرفقائنا السجناء، وكم يحتاجون كل شهر لتغطية مصاريفهم وإيجار منازلهم، ومن منهم يستطيع الانتاج ومن منهم لا يستطيع وغير ذلك من الأمور الحياتية كي نقوم نحن بتأمينها لهم. وكنت أنا مسؤولاً عن توزيع حوالي 450 ليرة لبنانية كل شهر على العائلات ضمن منطقة برج حمود ـ سن الفيل. ومن الحوادث المعبّرة أن

الرفيقة جيزيل إبنة الرفيق جوزف كانت مكلفة بتوصيل المال لإحدى الأسر، فتقوم بقرع الباب وتضع الظرف تحت الباب وتخرج مسرعة من المبنى قبل فتح الباب حتى لا تنزعج العائلة وتشعر بالخجل منها. وفي إحدى المرات قررت صاحبة البيت الانتظار وأمسكت يد الرفيقة جيزيل مباشرة لأنها تريد أن تعرف من هو الذي يضع الأموال كل شهر ويختفي.

كانت علاقتي مع الأسر ضمن منطقتي جيدة جداً، وكانوا يعلمونني بأي شيء يضايقهم. في إحدى المرات أخبروني أن أحد رجال الشعبة الثانية يأتي ليراقبهم ويقوم بمضايقتهم في كل يوم تقريباً لمدة ساعتين. توجهت إلى المكان المعتاد في الوقت المحدد، ودلوني على الشخص المعني. تقدمت منه وأغلقت عليه الطريق ورحت أرمقه بنظرات يتطاير منها الشرر. إستدار عائداً من حيث أتى، فقمت بملاحقته داعساً على قدميه من الخلف. وكلما زاد سرعته زدت سرعتي والنساء يضحكن عليه إلى أن وصل إلى الطريق العام فركض وهو يصرخ من الخوف. قفلت راجعاً وأخبرت عوائل الأسرى أنه لن يعود أبداً. أما إذا رجع مرة أخرى فعلى نساء القوميين ضربه بالأحذية والهجوم عليه جميعاً بحجة أنهن تعرضن للتحرش من قبله. ولكنني أكيد من أنه لن يعاود الكرّة مجدداً.

التعذيب والتنكيل بالرفقاء السجناء

إتصل بي الرفيق جوزف طالباً مني جمع عوائل الرفقاء السجناء ومرافقتهم للقيام بشبه تظاهرة في بكركي. أجبته: ألم تجد غيري لتلك المهمة؟ فقال لي: كل شخص سيرافق العائلات التي هو مسؤول عنها، وأنت تعرفهم جيداً وهم يعرفونك جيداً ويقبلون التعليمات منك. ولكن يمكنك تحضيرهم وتنظيمهم ثم تقف بعيداً عنهم وعن عدسات الإعلام كي لا تكشف هويتك. وتابع يقول: إن الرفقاء السجناء يتعرضون للتعذيب الوحشي، حتى أن الرفيق عبد الرسول أبو خليل فقد نظره من جراء التعذيب والتنكيل. لقد أصبح الوضع لا يحتمل ولا يمكن السكوت عليه، والسلطات لا تقدم لهم أية رعاية صحية ولا تسمح بتقديم الأدوية والعلاجات للمحتاجين. ورفقاؤنا يفتقدون أدنى الحقوق المدنية والإنسانية، وغير ذلك من أوضاع لم يعد من الممكن تجاهلها. وقد تم نقلهم

إلى سجون طرابلس للتنكيل بهم وتعذيبهم. كما أن الأمينين أسد الأشقر وعبدالله سعادة وغيرهما تم نقلهم إلى سجن الرمل وهم يفتقدون إلى الحد الأدنى من المعاملات الإنسانية.

جمعنا العائلات في اليوم المحدد، وطلبت منهم أن يفترشوا الأرض داخل صالون بكركي ويقوموا بتقشير البيض المسلوق وتغيير حفاضات الأطفال أمام الجميع. وكان على كل امرأة تنفيذ دورها بأن تخبر عن معاناة الأزواج في السجون، وكيف تم منع الزيارات والأدوية والعلاجات وغير ذلك. وبعد وصول الحافلات إلى بكركي وانتشار الأهالي في الصرح البطريركي، فضلت الابتعاد عن المتظاهرين إلى الجهة المقابلة كأني غير مشارك بالتظاهر. وكنت أراهم ويرونني من خلال الواجهة الزجاجية. ولما كنت أشير إليهم بالتصعيد، كانت النسوة تصعّدن بالصراخ والنحيب على مستقبلهن وعلى أزواجهم الأسرى وهن يشرحن ما يعانيه رجالهن في تلك السجون. فجأة جاءني أحد الكهنة وسألني: ما هذا الصراخ؟ أجبته: أعتقد أنها لنساء وأسر السجناء بالسجون اللبنانية، وهم يعترضون على ما يعانيه الأزواج من تنكيل وسوء معاملة من قبل السلطات اللبنانية. وعاد ليسألني عمن هم السجناء. فقلت: يقولون إنهم سجناء الحزب السوري القومي الاجتماعي. وسألني: وأنت ماذا تفعل هنا؟ فقلت له: أريد مقابلة سيدنا البطرك. فعلق قائلاً: إن البطرك مريض للأسف، ولا يستطيع مقابلة أحد. أنا سكرتيره الشخصي وسأقوم بنقل أية رسالة تريد. عندها قلت له: إني مع هاتيك النسوة المعترضات على تصرفات الدولة اللبنانية مع أزواجهن، ويجب عليّ مقابلة سيدنا البطرك شخصياً كي أشرح له معاناة السجناء القوميين. طلب مني الانتظار ريثما يتصل بالبطرك في الداخل، لكنه عاد معتذراً عن عدم استطاعة البطرك مقابلتي. وأخبرني أن غبطته مستاء من تصرفات الرئيس فؤاد شهاب وهو لا يتكلم معه، لكنه سيرسل له موفداً خاصاً لمقابلته. فقلت له: بلغ سيدنا البطرك أننا قبلنا معه بحقن الدماء في لبنان بعد الوعد الذي وعده. لكن إذا لم يتم تغيير تصرف الدولة مع السجناء فلبنان كله سيغرق بالدماء ولن ينفع الندم حينذاك، وأن دماء رفقائنا لن تكون رخيصة أبداً.

بعد قليل جاءت الرفيقة أمل الأشقر وطلبت مني ومن شقيق الرفيق فؤاد عوض الذي كان يقف معي الابتعاد فوراً عن الصرح البطريركي لأن عناصر التحري والمكتب الثاني في طريقهم إلى بكركي بعد أن تم الاتصال بهم من الداخل. فغادرنا المكان سوياً، وتوجهت إلى الرفيق جوزف لأخبره بتفاصيل ما حدث معي. لكنه انزعج جداً من موضوع التهديد قائلاً: يا رفيقي من كلفك بذلك التصريح؟ لقد أوكلتك بمهمة محددة. فأجبته: هذا ما حدث وأنا مسؤول عن ذلك. وفي اليوم التالي قصدني الرفيق محيو في العمل وبيده الصحف اللبنانية الصادرة بالعناوين الرئيسية يقرأها فرحاً وهي تقول بالخط العريض إن الرئيس شهاب وعد بالنظر بأمر سجناء الحزب السوري القومي الاجتماعي، وأوعز بتأمين العلاج والأطباء والأدوية وغير ذلك من أمور إنسانية، وكذلك تسهيل زيارات الأهالي. وفي نفس الوقت إتصل بي الرفيق جوزف ليسألني عما إذا كنت قد اطلعت على الصحف، وضحك قائلاً: زبطت معك هذه المرة فقد نفع تصريحك!

وقررت القيادة الحزبية لدعم الدفاع عن الأسرى الاستعانة بالمحامي الفرنسي موريس كارسون، فجاء إلى بيروت لينضم إلى فريق الدفاع. لكن السلطات العسكرية المسيّرة من قبل المكتب الثاني لم تسمح له بمقابلة الأسرى فاضطر لأخذ معلوماته عن القضية من فريق الدفاع المحلي. ثم تقدم بمطالعته القانونية التي أكد فيها أن الجريمة سياسية ويجب معاملة الأسرى على هذا الأساس وليس التعذيب والقتل من قبل زبانية المكتب الثاني. ومن المعروف أن كارسون قابل فؤاد شهاب وقال له: "يا فخامة الرئيس أتمنى أن يكون عندكم في لبنان كثرة من اللبنانيين النخبة بالمستوى الثقافي والعسكري لهؤلاء السجناء غير العاديين"، كما صرح بذلك النائب الصديق البير مخيبر.

وفي هذه الأثناء، تقررت زيارة بابا الفاتيكان إلى المشرق. لكن البابا رفض المرور في بيروت بسبب تدهور سمعة الحكم الشهابي في أوروبا من جراء المعاملة السيئة للأسرى القوميين. كانت محطة البابا في عمان، فاتفقت قيادتا بيروت وعمان على ضرورة تسليم مطالعة كارسون إلى البابا بواسطة الملك

حسين عند استقباله له. وبسبب ضيق الوقت طلب مني الرفيق جوزف حمل الرسالة وتسليمها للقيادة المؤقتة في الأردن في أقل من أربع وعشرين ساعة. وهذا ما حصل، إذ سلمت الرسالة لأعضاء القيادة المؤقتة الذين أوصلوها بدورهم إلى الملك حسين، وتم تسليمها إلى البابا بعد حفل الاستقبال الرسمي.

اعتقال الرفيق جوزف والتحضير للسفر

في أواخر سنة 1963، اتصل بي الرفيق جوزف طالباً مني مرافقة الأمينة ديانا شقيقة الأمينة الأولى إلى الشام، حيث أن هناك احتمالاً كبيراً في أن يطلق سراح الأمينة الأولى. توجهنا إلى دمشق وانتظرنا عند الرفيق نزار المحايري يوماً كاملاً. لكن لم يطلق سراحها في ذلك اليوم. وكنت قد تعرفت سابقاً على طبيب متخصص بأمراض الربو هو الرفيق الدكتور تيودور شان، وأخبرني أنه هو الذي يكتب التقارير الطبية للأمينة الأولى للمساهمة في الإفراج عنها من السجن. والتقيت أيضاً بالأمين عيسى سلامة. وكنت أعلم أن الرفيق جوزف كان قد خطفه ووضعه في صوفر فترة قبل أن يطلق سراحه. ذكرته بالحادثة، فأراد أن يضربني بالعصا. لكني قلت له أن يتروى لأن عملية الخطف تلك كشفت الحقيقة للرفيق جوزف، ولم تكن لهدف آخر أبداً. وكان الرفيق جوزف آنذاك مؤيداً لجورج عبد المسيح ثم أصبح ضده ومن أشد معارضيه. وبقينا مدة ثلاثة أيام بالإنتظار، وكنا نلتقي ونمضي أوقاتنا بالحديث في أمور الحزب وأوضاع الشام وقضية عبد المسيح. سألته لماذا لا تكتب كل تلك الأمور فهي مذكرات تاريخنا الحزبي والحزب بحاجة لها. فلم يرضَ. وكان رفيقنا صاحب مكتبة نوبل قد أخبرني أنهم فشلوا تماماً في محاولة إقناعه بتدوين مذكراته.

اتخذ الرفيق جوزف قراراً بعزل الرفيق (ج. ح.) لسوء أمانته واستغلاله أموال الجباية والمتاجرة بها بغية تحسين وضعه. فقام هذا الرفيق بتهديد الرفيق جوزف بأنه سوف يخبر السلطات الأمنية عنه وعن نشاطه السري إذا لم يتراجع عن قرار العزل ويعيده إلى المسؤولية، وأعطاه مهلة أسبوعين. نصحني الرفيق جوزف بالحذر والتيقظ هذه الفترة، فقلت له إن هذا الرفيق موتور الآن وهو سيقوم بتسليمك للأمن فدعنا نتخلص منه فوراً. أجابني: "لا يا رفيقي، سأطردكم إذا

قمتم بأي عمل ضده. فهذا الرفيق أوصل رسائل للزعيم مشياً على الأقدام من بيروت إلى حلب. وسابقاً كان يصرف من جيبه على أمور الحزب. لا يمكننا أن نؤذيه حتى لو كان ينوي أذيتنا، ولا أعتقد أنه سيفعل". فأعلمته أن هذا الرفيق تغيّر ولا يقدّر مغبة تصرفاته. فردعني الرفيق جوزف بحزم ومنعني من التعرض له وهددني بالفصل إذا علم بأننا، أنا والرفيق غطاس، قمنا بأي شيء ضده مهما حدث.

وبالفعل، بعد أسبوعين وبالتحديد في 17 شباط تم القبض على الرفيق جوزف من قبل الأمن العام الذين داهموا منزله اعتماداً على معلومة واضحة بأن مسؤول العمل السري هو جوزف رزق الله يعاونه شخص آخر يدعى "ميشال" وهو خطير جداً وكان في الجيش سابقاً. وكان مع رجال الأمن أوصافي كاملة، فأخذوا يبحثون عن ميشال وعن تلك الأوصاف الدقيقة التي أعطاهم إياها الرفيق (ج. ح.). وقد أبلغهم أيضاً بأن لديه رسالة من الأردن مخبأة في علبة النظارات في منزل الرفيق جوزف على مكتبه. وفتش رجال الأمن البيت والمكتب تفتيشاً دقيقاً لكنهم لم يجدوا شيئاً. أما الرفيق جوزف فكان يحتفظ بالرسالة بخرامة الأوراق التي كانت موجودة على مكتبه بشكل عادي ومعها أوراق مخرمة لم تثر الملاحظة أو الشك لدى رجال الأمن لأن تركيزهم كان على علبة النظارات. ومن غريب الصدف أن الرفيق جوزف كان قد فقد قبل مدة علبة النظارات ولم يعثر عليها أبداً.

لم ينل المحققون أي اعتراف من الرفيق جوزف لا عن العمل السري ولا عن أي شيء آخر. أما "ميشال" ذراعه اليمنى فقد أخبرهم أن شخصاً يدعى "ميشال" قصده ذات يوم قائلاً إنه بالجيش ويرغب بالعمل معه. ولكنه شك في أنه من الأمن فذهب ولم يعد يراه. أغضبت أجوبة الرفيق جوزف المحقق وهو كوميسير من بيت الخوري فقلب الطاولة عليه ما أدى إلى كسر فقرة في ظهره. وقد أوصل لي مع ابنته الرفيقة جيزيل لاحقاً بأنهم يريدون "ميشال"، وطلب منها إبلاغي بأن أختفي أو أسافر سريعاً لأنهم يبحثون عني. فأجبتها أنني لن أسافر الآن قبل أن يخرج من السجن.

رحت أتردد يومياً على مكتب صديقي بهجت سعد في الأمن العام، واستعلم منه بطريقة غير مباشرة عن الأخبار بينما هم يفتشون في كل مكان عن "ميشال" الجندي في الجيش. وقضى الرفيق جوزف ثلاثة شهور في السجن من دون أي دليل، مع العلم أنه أوقف سابقاً أكثر من اثنتي عشرة مرة وسجن لفترات متفاوتة وأحياناً ثلاث مرات في السنة الواحدة. إلتقينا بعد أطلاق سراح الرفيق جوزف. وكنت اتفقت مع الرفيق غطاس على تصفية (ج. ح.)، لكن الرفيق جوزف هددنا بالطرد إذا ما خالفنا الأمر الحزبي. لكننا انتقمنا منه بحيلة صغيرة حيث أننا أخبرنا كل الرفقاء أنه إذا تم اعتقالهم "يعترفون" بأن مسؤولهم هو الرفيق (ج. ح.). وحدث أن اعتقل أحد الرفقاء الطلبة وهو من عائلة الزين، وعندما سألوه من هو مسؤولك الحزبي أخبرهم مباشرة أنه (ج. ح.) ليتم اعتقاله والتحقيق معه وتعذيبه لمدة ثلاثة أيام. وهكذا كل فترة، كلما قبض على أحد من الرفقاء كان يعترف أن (ج. ح.) مسؤوله المباشر... إلى أن أخذ يستنجد طالباً السترة والمغفرة.

حصلت على تأشيرة الهجرة إلى كندا، وأبلغت الرفيق جوزف بأن موضوع سفري أصبح قريباً جداً. لذلك بات عليّ أن أوقف نشاطي الحزبي قبل أن أعتقل. وقد أوكل الرفيق جوزف عدة رفقاء ليحلوا مكاني في المهمات الحزبية. وأخذت أستعد للسفر، وقضيت معظم وقتي مع أهلي في ضيعتي ينطا لتوديعهم في الأيام الأخيرة الباقية لي في الوطن. وفوجئت ذات يوم بقدوم الرفيقين غطاس وتوفيق الحايك بالسيارة. وما أن رآهم والدي حتى قال: "تعال يا بهجت الشباب جاءوا يأخذونك". أخبراني بأن الرفيق جوزف يريدني للضرورة الآن، وعلي التوجه معهما إلى بيروت. نزلت معهما، وأبلغني الرفيق جوزف "أن الرسول الجديد القادم من عمان أضاع الرسالة بشارع الحمراء، ونحن لا ندري ما فيها من تفاصيل. وخوفاً من أن تكون متضمنة أشياء أو أسماء مهمة، عليك بالتوجه إلى الأردن حالاً وإخبار القيادة المؤقتة بضياع الرسالة وجلب بدل عنها". وبدون أي تضييع للوقت إنطلقت إلى عمان وقابلت الرفيق يوسف الأشقر وأخبرته بموضوع الرسالة الضائعة. فقال: "لا يهمكم الأمر، فهذه نسخة عن الرسالة وهي تحتوي على أمور مالية فقط. وهناك صفحة وهمية لا تتضمن أي شيء مهم أبداً". قفلت

راجعاً إلى بيروت في اليوم نفسه لأوصل الرسالة إلى الرفيق جوزف الذي كان مشغول البال ومنتظراً على أحر من الجمر. وقد إرتاح كثيراً بعد تسلم الرسالة واطمأن إلى أنه لا يوجد فيها أي شيء مهم. فقال لي: "يا رفيق ميشال لماذا تريد السفر، إبق معنا هنا". أجبته: "لم يبق لي سوى أيام على سفري، وأنت تريد مني أن أبقى أو أسجن"! فضحك وتمنى لي التوفيق في مشاريعي المستقبلية.

سافرت إلى كندا في منتصف العام 1964. وانضممت إلى العمل الحزبي في إدمنتون حيث كان يتواجد الرفقاء جميل حيمور وجورج الحجار وآخر من بيت عميس. وبعد الاستقرار سألتهم إذا كانت هناك جمعية تتكلم باسم المغتربين السوريين والعرب، فأفادوني بأنه لا وجود لمثل هذه الجمعية. بعثت برسالة إلى القيادة المؤقتة بعمان أطلب فيها السماح لنا بتأسيس جمعية تنطق باسم الجاليات العربية. وجاءت الموافقة على أن نكون موجودين بفعالية فيها وأن نترفع عن المناصب. وتم التأسيس من أبناء الجالية من محاميين ومهندسين وأطباء وتجار، وضمت أكثر من 150 عضواً يوم التأسيس من مختلف المناطق العربية. وتم عمل رخصة لها مع نظام داخلي، وساعدنا أن حاكم المقاطعة من بيت الحداد رتب لنا كل الأمور لولادة "جمعية الصداقة العربية الكندية في إدمنتون".



مرويات الرفيق غطاس الغريب (بطرس)

كنت في الجيش اللبناني بسلاح الطيران اختصاص فني مظلات، ومعي الرفيقان غالب خطار شقيق الرفيق رضا خطار والرفيق توفيق أبو خير من راشيا. كنا ثلاثة قوميين في ثكنة رياق التي تضم 350 عنصراً بين اختصاصيين وحرس. وبعد الانقلاب، وبالتحديد في 25 كانون الثاني سنة 1962، تم إيقاف حوالي 160 عنصراً من الثكنة للتحقيق. وفي الخامس من شباط تم طردنا من الجيش نحن الثلاثة، ولم يسمحوا لنا بأخذ متاعنا وخرجنا من الثكنة بثيابنا التي نلبسها فقط، البنطلون الكاكي والقميص الكاكي الخفيف وحذاء الرياضة. وحين وصلنا إلى بيروت في ذلك الوقت من شهر شباط كنا قد تجمدنا من قساوة الطقس.

قصدت بيت أختي في الشويفات، وبقيت عندها ما يقارب الشهرين. ثم بدأت العمل مع صهري هنري جحا الذي كان يملك مدرسة في جديدة المتن اسمها "كلية جبل لبنان". ونتيجة لنشاط المدرسة في استقطاب أبناء القوميين تعرفت على الرفيق جوزف سركيس الذي عرفني بدوره على الرفيق جوزف رزق الله. وبدأنا التنسيق مع بعضنا شيئاً فشيئاً، وعملنا على تسهيل مجيء أبناء الأسرى القوميين لتعليمهم بالمجان في تلك الكلية التي أصبح عدد تلاميذها بحدود 750 طالباً. ولاحقاً قمنا بفتح فرع للمدرسة في شارع حنكش بالجديدة لتعليم هؤلاء الأطفال والاعتناء بهم. وكنت أنا والرفيق إلياس جرادي ورفيق آخر نسيت اسمه نشرف على تدريسهم وكذلك توصيلهم إلى منازلهم بعد المدرسة. كما كنا نتوجه إلى بيوتهم لتدريسهم في برج حمود أو غيرها إذا تعذر عليهم الحضور. وبقينا على هذه الحال حتى سنة 1967 عندما وقع خلاف بيننا وبين صهري صاحب المدرسة فتفرق الأطفال إلى مدارس مختلفة.

إنتقلت بعد ذلك للعمل في باتيسري لادونا بمنطقة الدورة والذي يملكه

رفيقان من بيت شباب هما أنطون وجورج سمعان. وكان الباتيسري مركزاً سرياً للقوميين. وكنا مستمرين في عملنا الحزبي السري، وكل ليلة نقوم بزيارة أسر الرفقاء السجناء ونقف على مطالبهم واحتياجاتهم ونعود إلى الرفيق جوزف رزق الله لإبلاغه عنها والعمل على تأمينها، مع توزيع المبلغ الشهري الذي كان يعطينا إياه الرفيق جوزف بموجب اللوائح المرفقة.

كنت كل شهر تقريباً أتوجه إلى مكتب الرفيق جوزف في المكلس، فيعطيني ما يقارب من 10 إلى 11 ألف ليرة لبنانية. وكان المبلغ كبيراً جداً في ذلك الوقت مقارنة بمائة ليرة كحد أدنى للأجور. وكنت أوزع تلك المبالغ في برج حمود وفي قرى صور ومنها طلوسة وقعقية الجسر وقعقية النهر. وكنت أقود سيارة فولسفاكن مستأجرة جديدة لتوزيع المال على عائلات القوميين الذين أربابها في السجون حسب اللائحة. وأذكر في إحدى المرات، وكان معي مبلغ 11 ألف ليرة وفي طريقي إلى مقنة في البقاع لمقابلة الرفيق علي نون لنقوم بتوزيع ذلك المبلغ، إذ صادفت على جانب الطريق شابين مسلحين يومئان لي بالوقوف لأقلهما معي بالسيارة. قمت بتخفيف السرعة موهماً إياهما بأنني سأتوقف، وعندما خفضا سلاحهما قمت بزيادة السرعة إلى الحد الأقصى لأصل عند الرفيق علي في مقنة وأنا مضطرب الأعصاب. سألني: ما بك وجهك شاحب، هل حدث معك شيء؟ فأجبته بالنفي. لأفاجأ بعدها بدخول الشابين اللذين أديا التحية القومية، وقالا لي: لماذا لم تتوقف لنا يا رفيقي؟ فاعتذرت منهما، وأخبرتهما أنني ظننتهما من قطاع الطرق ومعي مبلغ كبير من المال، فلم يكن مستحسناً التوقف تحت أي ظرف.

في سنة 1963 أو سنة 1964 كان الرفيق جوزف يعمل قرب ميناء بيروت. طلب مني إحضار سيارة وكان معه الرفيق بهجت الحلبي. توجهنا إلى البقاع ومن هناك إلى ينطا التي كانت مغطاة بالثلوج. ترك الرفيق جوزف سيارتي وسار مع الرفيق بهجت لعبور الجبل باتجاه جديدة يابوس حيث كانت تنتظره سيارة عند المقلب الآخر. أما نحن فقد غادرنا عائدين إلى بيروت وكان الثلج يتراكم إلى ارتفاع 40 سنتم تقريباً.

في 20 تموز سنة 1965 تم اعتقالي من باتيسري لادونا بعد أن وقع الرفيقان جورج قيصر وتوفيق حايك في قبضة قوى الأمن. عند الساعة الرابعة أخذونا إلى سجن الأمير بشير حيث تعرضنا للتعذيب والتنكيل على أيدي عدد من المحققين من بينهم أبو أحمد أنطوان العازوري. ونظراً إلى سوء المعاملة، كنا نبحث في باحة السجن عن ورق الجرائد لاستعماله كورق للحمام. وذات يوم وجدت ورقة مشكوكة بالرمل فيها أسماء 36 عضواً من الحزب مطلوبين للسلطات، بينهم رؤوفة الأشقر ونضال الأشقر وغسان الأشقر وجوزف رزق الله ولبيب ناصيف وهنري حاماتي وسهيل عبد الملك. ولا أدري من أين أتت تلك الورقة، ولكنني عمدت إلى تمزيقها وإخفائها لأعلم لاحقاً أن جميع من وردت أسماؤهم باللائحة تم القبض عليهم والتحقيق معهم.

إستبقوني 20 يوماً بسجن الأمير بشير قضيناها تحت التنكيل والتعذيب. وعلمت أيضاً خلال تلك الفترة أن الرفيق جوزف رزق الله تعرض لذبحة قلبية مع إلتواء بخرزة الظهر من جراء التعذيب، وأنهم نقلوه إلى مستوصف الكرنتينا. ولم ندر عنه شيئاً آخر خلال تلك الفترة. بعدها تم نقلي إلى سجن الرمل حيث سجنت لمدة شهرين. ثم حولونا إلى المحكمة لنخرج بعدها بكفالة، وتم تعيين موعد للمحكمة العسكرية التي لم نحضرها. لكن صدر الحكم بحقي وحق الرفيق توفيق الحايك بالسجن ثلاث سنوات غيابياً لأنني كنت مختبئاً في شقة أمنّها لي الرفيقان جورج وأنطون سمعان، وهي لشخص من البقاع يدعى فكتورعقل. بعد ثلاثة شهور تقريباً استدعتني الرفيقة رؤوفة الأشقر زوجة الأمين أسد الأشقر. وجدت عندها في البيت شخصاً يضع طربوشاً يدعى شفيق أبو غزالة كان يملك محطة بنزين في حرش ثابت قرب كنيسة سانت ريتا. وكان يتحدث معها بخصوصنا وبخصوص عدد آخر من الرفقاء. طلب منها تأمين صندوقين من الويسكي له مقابل أن نقوم بتسليم أنفسنا إلى سجن الرمل ليخلى سبيلنا بعد ستة أيام ويكون الحكم سنة واحدة مع وقف التنفيذ. وبعدها أصبحنا مراقبين، وكلما توجهنا إلى برج حمود نرى أربعة عناصر من المكتب الثاني يقومون بمطاردتنا ومراقبتنا.

وفي أحد الأيام مررت على الرفيق جوزف في المكلس، وصعدنا سوياً إلى بلدته القصيبة. وصلنا مساءً، وبعد العشاء أعطاني مغلفاً فيه مبلغ من المال لإيصاله إلى بيروت وطلب مني المغادرة عند الساعة الحادية عشرة ليلاً، وأعلمني أنه إذا سألني أحد يجب أن أقول إني كنت أشتري الفحم من ضيعة الكنيسة المجاورة. مشيت حتى بلدة زندوقة وانتظرت سيارة تقلني إلى أي اتجاه. وأخيراً مرّت سيارة فيها شخصان أصعداني معهما باتجاه رأس المتن. واستفهما ماذا أعمل في هذا الليل في زندوقة، فأجبت أنني أشتري الفحم لوكيلي في سن الفيل. لم يصدقا، وأصرا على أني كنت عند جوزف رزق الله. وأعلنا أنهما قوميان، ومع ذلك لم أصارحهما بشيء. أوصلاني إلى حمانا وكانت الساعة تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل لاستقل سيارة إلى بيروت.

مرويات الرفيقة جورجيت راشد بدر

للعمل السري في فترة الستينات بعد الثورة الانقلابية الفاشلة ذكريات متعددة ونكهة خاصة أذكر منها اثنتين لأن لهما وقعاً كبيراً في نفسي. كان الرفيق جوزف رزق الله يكلفني دوماً بنقل الرسائل إلى الرفقاء العاملين سرياً في البقاع، ولكن بسبب الملاحقات المشددة وفي تلك الظروف القاسية أصبح التكليف شفهياً.

هناك حادثة أثّرت في نفسي كثيراً عندما اعتصم أهالي السجناء الأسرى في بكركي. فقد أعطاني الرفيق جوزف ورقة كي أسلمها إلى الرفيقة أمل أسد الأشقر بدافع الاستمرار في الاعتصام والإضراب. ذهبت وأديت المهمة على أكمل وجه. وفي طريق العودة إذ بسيارة تقل ثلاثة أشخاص تقف قربي، ويعرض من فيها نقلي إلى حيث أشاء. وفي الطريق أخذوا يسألونني عن مغزى وجودي هناك، فكان جوابي أنني أتيت أبحث عن عمل في الدير. وسألني أحدهم ما إذا كنت أعرف شخصاً يدعى جوزف رزق الله، فأنكرت جملة وتفصيلاً وأكدت لهم أنني لم أسمع بهذا الإسم إطلاقاً ولا علاقة لي به لا من قريب ولا من بعيد. وقد أصريت على الذهاب إلى الشياح حيث منزل أختي. وحين غاب طيفهم عني، توجهت مشياً إلى عين الرمانة حيث منزل الرفيق جوزف. وما أن دخلت حتى فوجئت بالأشخاص الثلاثة يؤدون لي التحية، وسط انشراح الرفيق جوزف لنجاح المهمة وخاصة المحافظة على السرية الكاملة.

وحادثة أخرى أثّرت في نفسي كثيراً في ذلك الوقت. فقد كان الرفيق جوزف يدعوني إلى الغداء في مطعم فراريج حيث كنا نلتقي سرياً للتداول، ثم نخرج بعدها كل في اتجاه معاكس. وفي إحدى المرات، وبعد انتهاء الغداء، ناول

الرفيق جوزف النادل ورقة المئة ليرة لبنانية فقال له: "سأعرضها على المسؤول فقد تكون مزورة". فما كان من الرفيق جوزف إلا أن انتفض بحنق شديد، وضرب بيده على الطاولة قائلاً: "نحن نعلم الأجيال السلوك الحسن. نحن أتينا للقضاء على الفساد وندفع الثمن باهظاً في سبيل ذلك من سجن وتشرد واستشهاد... فكيف نأتي بعملة مزورة؟" فما كان من النادل إلا أن خلع مريوله وأدى التحية قائلاً: "مكاني الصحيح بين رفقائي حيث الحياة وليس لقمة العيش".

مختارات من نبذة عن الأمين شفيق راشد
نشرها الأمين لبيب ناصيف ولها علاقة بموضوع الكتاب

في الأيام الصعبة التي أعقبت الثورة الانقلابية، وفيما أجهزة القمع تغتال السوريين القوميين الاجتماعيين وتسومهم العذاب الشنيع في المعتقلات، أو تلاحق الذين في الخارج لتزج بهم في السجون، أو تجلد البعض منهم في ساحات القرى... في تلك الفترة المظلمة من تاريخ لبنان. ولم يكن قد مضى على الثورة الانقلابية إلا فترة قصيرة - انبرى عدد من الرفقاء يتحملون المسؤوليات بإيمان وصلابة وبطولة مؤمنة، غير آبهين بالأخطار ولا بالمعتقلات وما قد ينتظرهم فيها من جلد وتعذيب. راحوا ينظمون صفوف الحزب، يؤمنون المساعدات المالية لعائلات الرفقاء الأسرى، وينشطون في كل مكان. وقد اتخذوا أسماء حركية، فكان منهم "ناصيف" (جوزف رزق الله) و"طانيوس" (لبيب ناصيف) و"بطرس" (غطاس غريب) و"أحمد" (توفيق الحايك). وكان بينهم أيضاً "كميل" الذي بقيت وعلى مدى ثلاث سنوات أعرفه بهذا الاسم، جاهلاً اسمه الحقيقي. "كميل" هذا، هو نفسه الأمين شفيق راشد.

الرفقاء الذين كانوا يترددون إلى الشقة السرية التي تم استئجارها في العام 1962 (قرب سينما الكوليزيه. الحمراء) وهم قلة، إضافة إلى الرفقاء أعلاه، والرفقاء المسؤولين في البقاع، خبروا في الرفيق "كميل" كل ما تميز به من شجاعة ورصانة وإيمان والتزام. لقد عرفوه ناشطاً متحركاً مقداماً، لا يتراجع رغم الأخطار، ولا يتوقف عن متابعة مسؤوليته، حتى بعد أن اعتقل الرفيق سعد التيني وسجن بسبب نشاطه الحزبي في البقاع ومساهمته في إيصال المساعدات

لعائلات الرفقاء الشهداء والأسرى.

وعند الحديث عن الأمين شفيق راشد نذكر باعتزاز عدداً من الرفقاء الذين وافتهم المنية، وأبرزهم الرفيق الشهيد جوزف رزق الله (ناصيف)، والرفيق ملحم غاوي الذي كان تولى مسؤولية الطلبة وحكم عليه غيابياً بعد أن تمكن من المغادرة إلى غانا، وقد وافته المنية في "تاكورادي" وهو في عز شبابه، والرفيقان سمير أبو ناصيف وسهيل عبد الملك. وسيأتي يوم نتحدث فيه عن الأمناء والرفقاء الذين لم يعرفوا جبناً ولا تخاذلاً، فلم تحل أجهزة القمع دون قيامهم بواجبهم الحزبي في تأمين التواصل مع الرفقاء المعتقلين في ثكنة الأمير بشير، كما مع الذين أمكنهم الوصول إلى الأردن وتشكيل الإدارة الحزبية العامة.

صدر بحق الأمين شفيق ثلاثة أحكام قضائية في ثلاث دعاوى مختلفة تراوحت مدتها من 6 أشهر إلى 3 سنوات سجناً، مع صرفه من الخدمة في التعليم الرسمي تأديباً له - كما ورد في خلاصة الحكم - فقرر مغادرة لبنان خلسة إلى الأردن في أواخر أيلول 1965، عبر الأراضي الشامية. إلى أن تمكن من السفر إلى كندا في العام 1967 مستقراً في مدينة أوتاوا، حيث تابع فيها نشاطه الحزبي، متولياً مسؤوليات عديدة. وفي العام 1978 منح رتبة الأمانة.

كان رصيناً، هادئاً، قوي الإيمان، يتحلّى بمزايا الصدق والاستقامة، وبالوعي العميق للعقيدة السورية القومية الاجتماعية.

في أيار من العام 1995 وافت المنية الأمين شفيق راشد وهو في أوج عطائه، فأقيم له مأتم حزبي حاشد في أوتاوا.

وفي رسالة للأمين شفيق عن حياته يكتب: "أما على الصعيد الإداري فقد تحملت مسؤوليات إدارية كثيرة في هيئات المديريات والمنفذيات، كما كنت عضواً في اللجنة المركزية في لبنان عامي 1963 و1964. وفي تلك الفترة دخلت السجن بضع مرات ولمدد تتراوح بين يومين واسبوعين بتهمة القيام بنشاط حزبي ومساعدة عائلات الشهداء والأسرى. عام 1965 صفّت الحكومة اللبنانية حسابها معي فصرفتني من الخدمة في التعليم الرسمي تأديباً لي، كما ورد في خلاصة الحكم. كما صدر في نفس العام حكم بحقي من محكمة زحلة بالسجن لمدة 3

سنوات بتهمة التنظيم الحزبي ومساعدة العائلات، وحكمان آخران من المحكمة العسكرية في بيروت بتهمة حيازة ونقل أسلحة "حزبية طبعاً"، واحد لمدة 6 أشهر والآخر لمدة سنة غيابياً، إذ كنت في حينها قد وصلت إلى قناعة بعدم دخول السجن ومغادرة الأراضي اللبنانية. وبالفعل غادرتها في أواخر أيلول إلى الأردن مجتازاً الأراضي الشامية خلسة، إذ كان محظوراً عليّ دخولها منذ العام 1958. أقمت في عمان حوالي السنتين كنت خلالها على اتصال دائم أولاً بالإدارة الحزبية في الأردن في حينه وبعدها برئاسة الحزب في الشام".

لا يصح أن نتحدث عن الأمين شفيق راشد دون أن نستذكر بكثير من الاعتزاز والفخر الرفيق الشهيد جوزف رزق الله الذي سطر مواقف عز كثيرة مع بدايات العام 1962 عندما تنكب مسؤولية مفوض عام لبنان، في وقت كان عملاء المكتب الثاني اللبناني يترصدون كل حركة، والقوميون يتعرضون للملاحقة والاعتقال.

ونضيف لما اقتبسناه من الأمين لبيب ناصيف أن الأمين شفيق قام بما يقوم به الناموس والوكيل للمفوض العام في سنتي 1963 و1964 وكان بحق الرجل الثاني في تفعيل العمل الحزبي بعد الانقلاب.

وكان الأمين لبيب قد نشر النبذة التالية عن الرفيق جوزف بتاريخ 29 كانون الثاني 2014:

في الأشهر التي أعقبت الثورة الانقلابية التي قام بها الحزب، ومنذ بدايات العام 1962 كان الرفقاء يتولون المسؤوليات وينشطون على كامل الأراضي اللبنانية، لا يعيرون اهتماماً لملاحقات المكتب الثاني، ولإمكانية تعرضهم للاعتقال، وما يرافق ذلك من جلد وتعذيب.

في تلك الفترة سطع رفيق بطل تولى المسؤولية الأولى كمفوض عام للبنان. فكان لحضوره الحزبي أثره البالغ، ليس فقط على صعيد تنظيم فروع الحزب بالرغم من كل الحالة الأمنية الصعبة التي كانت سائدة، إنما أيضاً على صعيد عائلات الرفقاء الأسرى التي كانت تصلها المساعدات المالية، كما على صعيد الرفقاء في ثكنة الأمير بشير واطمئنانهم إلى وجود حالة حزبية مسؤولة تؤمن

الترابط الحزبي بينهم وبين "الخارج"، خاصة مع الإدارة العامة المؤقتة في عمان التي تشكلت من أمناء ورفقاء قياديين تمكنوا من مغادرة لبنان إليها، ومن رفقاء آخرين في الأردن، وتولت إدارة العمل الحزبي في الوطن وعبر الحدود في ظل غياب معظم أعضاء السلطات المركزية الشرعية في الأسر، وعدم إمكانية دعوة الأمناء لانتخاب مجلس أعلى جديد.

إنه الرفيق الشهيد جوزف رزق الله.

وإن كتب عدد من الرفقاء عن تلك الفترة ومنهم الأمين غسان عز الدين في مجلده "حوار مع الذاكرة"، إلا انها فترة غنية جداً بالنضال القومي الاجتماعي، وبوقفات العز لا يجوز أن تضيع من تاريخنا.

صلباً كان كأنه قدّ من صوان، سنديانة عتيقة، صادقاً، صريحاً، مستقيم الرأي والإيمان والاتجاه، لا يعرف مهادنة ولا مواربة ولا تراجعاً عن حق. فظ إن لم تدخل أعماقه، محب، غيور، وفي، شفاف ووجداني. وبكل إيجاز كان قومياً اجتماعياً حتى أدق شرايين أعماقه .

في تلك الشقة الصغيرة قرب سينما "كوليزيه" - الحمراء كان يلتقي وأعضاء اللجنة المركزية. يسهرون حتى الفجر. ولكل منهم عمله في اليوم التالي، والأوراق في مكان سري للغاية.

لكل اسمه الحركي، تمضي أسابيع فلا يعرف أحد اسم الآخر بل مضت سنوات قبل أن نعرف أن "الرفيق كميل" هو الأمين شفيق راشد وأن "الرفيق بطرس" هو الرفيق غطاس الغريب وأن "الرفيق أحمد" هو الرفيق توفيق الحايك، وأن، وأن...

وتعب قلبه، إنما لم يتعب إيمانه ولم يتوقف عمله الحزبي. وفي حالته الصحية هذه اعتقل وسجن، كما كان اعتقل وسجن مرات، فاستمر أكثر عناداً وأشد تصميماً ولم تعرف حيويته الدافقة فتوراً.

في آذار العام 1970 اعتقل وصدر الحكم بسجنه شهراً كاملاً لأن رسالته إلى وزير الداخلية آنذاك كمال جنبلاط والتي يسأله فيها عن سبب عدم منحه جواز سفر يتمكن به من السفر للعمل في الخارج، تضمنت المقطع التالي: "إلى متى

ستبقى هذه الدولة المزرعة ؟" وفي 4 نيسان توفي في سجنه إثر نوبة قلبية، فشهدت بلدته القصيبة ـ المتن الأعلى تدفق آلاف القوميين الاجتماعيين والمواطنين من كل القرى المحيطة، كما من كل لبنان، وفيهم تكلم الأمين حافظ الصايغ عرّيفاً، والأمين كامل حسان، ورئيس الحزب آنذاك الأمين الدكتور عبدالله سعادة الذي قال فيه: "يا رفيق النضال والجهاد. عرفتك بطلاً مؤمناً شجاعاً، عرفتك لما عصفت الأنواء بالسفينة وشرد عنها الربانون والبحارة وشرد عنها القادة والعاملون، رأيتك تقبض على مقبض السفينة بيدك وتسير بها في ظل الأنواء والإعصار الأسود غير خائف. لك من إيمانك بالحياة ما يشدك إلى مرفأ الحياة. وها هم رفقاؤك اليوم اجتازوا تلك الأنواء والأعاصير، بإيمانك الذي هو إيمانهم، إلى مرافئ الحياة ليقودوا الأمة كلها في دروب الحياة ومدارج عزتها وكرامتها".

في الأسبوع نفسه كانت بلدة شمسطار تشهد أكبر حشد في تاريخها، عندما تدفق عشرات الآلاف من مواطنين ورفقاء ليسيروا وراء نعش الملازم الرفيق الشهيد علي الحاج حسن. فأصدرت جريدة "صوت برمانا" - التي كان يصدرها ويرأس تحريرها الرفيق ألكسندر درويش الأشقر عدداً خاصاً بتاريخ 25 نيسان 1970 تضمن تغطية كاملة لكل من مأتمي الرفيقين الشهيدين .

- ولد الرفيق جوزف ناصيف رزق الله، وهو من بلدة القصيبة ـ المتن الأعلى في الأشرفية، بيروت في 16/ 3/ 1926 .

- اقترن من ليلى اللاتي وأنجب منها أربعة أولاد، الرفيقات والرفقاء جيزيل جورج بطل، سعاده، ناصيف، وأليس عبود أبو جودة .

- قبل انتمائه إلى الحزب كان كتائبياً متحمساً، وعضواً في الشرطة الكتائبية. وبفضل الرفيق إدمون حايك (من الأشرفية منح وسام الواجب، فارق الحياة أواسط تشرين الأول عام 2004) أصبح قومياً اجتماعياً وانتمى إلى الحزب في العام 1948 .

- تولى مسؤوليات حزبية عديدة، منها مدير مديرية، منفذ عام، مندوب مركزي. وبعد الثورة القومية الاجتماعية الثانية تولى المسؤولية الأولى في لبنان

كمفوض عام، فكان على قدر المسؤولية صلابة ومتابعة وتحدياً لكل صعوبات المرحلة.

- كان محاسباً قانونياً وعمل في شركات عديدة بعد أن ترك وظيفته في شركة كهرباء صوفر، منها شركة ألبير أبيلا، محلات بولس فياض، بوظة جيرفي وغيرها.

- من المعروف أن مديرية فرن الشباك التي كان يتولى مسؤولية المدير فيها عند حصول الثورة القومية الاجتماعية الثانية شاركت بشكل فعال فيها، ومن أعضائها الرفقاء ميشال خوري، جوزف عقل إلياس، عباس حمدان الذين ساهموا مع الرفيقين أوغست حاماتي وعادل أندراوس في إطلاق سراح النقيب الرفيق شوقي خير الله حيث كان موقوفاً في ثكنة الفياضية. كذلك فإن العديد من أعضائها شاركوا في الثورة واعتقلوا إنما لم ترد أسماؤهم في التحقيقات وجلسات المحاكمات، وبالتالي فلم تصدر أحكام بحقهم.

- بواسطة الرفيق، الأمين حالياً (ب. ح.) تمكن الرفيق جوزف رزق الله من اجتياز الحدود وصولاً إلى الأردن كي يلتقي أعضاء الإدارة العامة المؤقتة. كذلك لم يكن يعفي ابنته جيزيل، وهي في الخامسة عشرة من عمرها، من القيام بمهمة نقل البريد الحزبي إلى أمكنة متفرقة، منها الأردن.

- عندما قال سعاده في خطابه في الأول من حزيران 1949: "إن الدولة اليهودية تخرّج اليوم ضباطاً عسكريين، وإن الدولة السورية القومية الاجتماعية التي أعلنتها سنة 1935 تخرج هي أيضاً بدورها ضباطاً عسكريين"... كان الرفيق جوزف رزق الله أحد هؤلاء الضباط الذين كان يعدّهم الحزب في تلك الفترة.

بتاريخ 18 كانون الثاني 2005 قرر المجلس الأعلى تسميته شهيداً للحزب السوري القومي الاجتماعي والحيثيات: "أن الرفيق رزق الله قد تميّز في حياته الحزبية بإيمانه والتزامه المطلق بالحزب والعقيدة، وتولى مسؤولية مفوض عام الحزب في لبنان بعد الثورة الانقلابية عام 1961 في ظروف صعبة جداً مما عرّضه للسجن مراراً كان آخرها في 19 آذار 1970 عندما قضى في السجن إثر نوبة قلبية حادة بتاريخ 4 نيسان 1970".

وعن الأمين لبيب ننقل أيضاً أن الرفيق جوزف كان حريصاً جداً على سرية العمل وعدم كشف الرفقاء العاملين. وفي أول لقاء للتعرف إلى الأمين لبيب، اختار مقهى ومشرباً معروفاً للمنحرفين عن قيم ومناقب المجتمع قبل دعوته لاحقاً للاجتماع في منزل الكوليزيه.



مرويات الأمين محمد غملوش

عندما تريد أن تتحدث عن الرفيق المناضل جوزف رزق الله وعن مسيرته الحزبية، فإنك تحتار من أين تبدأ: من إيمانه المطلق بصحة عقيدته وثباته في النضال من أجلها وإيمانه بانتصارها حتى وفاته في سجن الرمل، أم من إيمانه بأن فلسطين ستعود إلى حضن الوطن إذ كان يقول لنا دائماً بأنه حين يخلد إلى النوم يرى نفسه يرفع علم الزوبعة فوق روابي فلسطين، أم بحركته التي لا تهدأ ليلاً نهاراً وهو في موقع المسؤولية أو خارجها ساعياً إلى إبقاء الحزب فاعلاً وناشطاً حتى في أحلك الظروف .

تعرفت على الرفيق جوزف في مؤتمر مصغر تداعى إليه بعض القوميين في بلدة ضهور الشوير، وكان العدد لا يتجاوز الثلاثين رفيقاً. وكانت غاية المؤتمر كيفية تنشيط العمل الحزبي في ظل منع السلطات اللبنانية أي نشاط علني أو سري. وكان الرفيق المناضل جوزف مسؤولاً في ذلك الوقت. وحينما أنهيت مداخلتي في المؤتمر وأتت فترة الاستراحة تنحى بي جانباً وسألني من أين أنت وماذا تعمل وأين تسكن وإلى أية مديرية تنتمي؟ فأجبته عن أسئلته. قال لي: "لقد أعجبتني مداخلتك ورأيت فيها بعض الحقائق التي يجب أن نعمل على تنفيذها، ولهذا أطلب منك بل أريدك أن تكون معي ناظراً للإذاعة في منفذية المتن الأعلى". وكانت حدود المنفذية من برج البراجنة حتى بلدة كفرسلوان. لبيّت طلبه ولم أتردد. بدأنا العمل، وكان معنا على ما أذكر الرفقاء جميل مكارم وتوفيق خلف وجميل عساف. وهنا أشهد بأن العمل معه، بقدر ما كان ممتعاً ومفرحاً لأنه كان يفضي إلى نتائج جيدة، بقدر ما كان شاقاً ومتعباً. كانت غايته

من ذلك أن لا نخشى الصعاب والأهوال في سبيل تحقيق أمر ما يعود بالمنفعة على العقيدة وعلى الحزب .وكان دائماً يردد على مسامعنا وفي كل جلسة لهيئة المنفذية: "نحن القوميون مهما تجاسرنا على أنفسنا ومهما قدمنا لهذه القضية التي آمنا بها وجعلناها تساوي وجودنا، فإننا لا نبلغ ولو جزءاً بسيطاً مما قدمه الزعيم المؤسس الذي أهدى القضية حياته وروحه".

وهنا أذكر حادثة لا يمكن أن تُنسى. في إحدى ليالي الشتاء دعانا المنفذ العام الرفيق جوزف إلى اجتماع لهيئة المنفذية في منزله في بلدة القصيبة، وكان بامكانه أن يعقده في بيروت. وقد طال الاجتماع إلى ما بعد منتصف الليل. في هذا الوقت بدأت الثلوج تتساقط وازداد الصقيع. إختتم الاجتماع وقال: "كل منكم يعرف ما عليه القيام به، والآن إذهبوا إلى بيوتكم"! كيف نذهب وليس معنا سيارة لتقلنا، وجميعنا نسكن في بيروت؟ أجاب: "دبروا أنفسكم، كان يجب أن تدركوا هذا الأمر وتؤمنوا طريق العودة. البيت هنا لا يتسع لكم لتناموا وهو بالكاد يكفي العائلة". وعندما ترددنا في الذهاب، قال لنا بحزم: "لأنكم لم تفكروا بتأمين وسيلة العودة، يجب أن تغادروا فأنتم شباب ولا يخشى عليكم من الثلج". ذهبنا سيراً على الأقدام حتى وصلنا إلى فوق رأس المتن، فمرت إحدى السيارات وأقلت جميل مكارم ومعه بعض الرفقاء إلى دارته في رأس المتن. أما أنا وجميل عساف وتوفيق خلف فذهبنا إلى بيروت مستقلين إحدى السيارات العابرة. أقولها بصراحة كانت ليلة قاسية، ولكننا تعلمنا الدرس وما المقصود منه. وفي الاجتماع الذي تلاه قال لنا: "أرجو أن تكونوا قد تعلمتم عندما تريدون القيام بعمل ما وترغبون في انجاحه يجب أن تخططوا له من ألفه إلى يائه، وإلا فإنه سيفشل". ومن يومها عندما يكون الاجتماع في القصيبة كنا نطلب من السائق أن ينتظرنا حتى نهاية انعقاده. وكان يمازحنا حين يعلم أن السيارة في انتظارنا ويقول: "لماذا لا تنامون هنا فلدينا متسع لكم جميعاً"!

هذا هو الرفيق جوزف يعلمنا تحمل المسؤولية، يعلمنا التخطيط الصحيح لكل عمل نريد القيام به وأن لا نترك أي أمر مهماً كان كبيراً أو صغيراً للصدف .

ومن مآثره أيضاً التي تشحذ النفوس وتصلب الإيمان وتزيل الخوف من شيء

اسمه السلطة والمكتب الثاني والملاحقات في ذلك الوقت، أنه كان يدعو إلى الاجتماع عند الفجر في أحد أحراش المتن الأعلى ليتلو علينا بعض القرارات والرسائل الصادرة عن المراجع العليا في الحزب .ومن ثم يحاضر فينا كل مرة في موضوع مختلف هو وغيره من المثقفين في العقيدة. والأغرب أنه كان يطلب منا أن لا نحضر معنا لا مأكلاً ولا مشرباً. وكان يقول دائماً إن الجوع والعطش لا يقتلاننا لكنهما يذكراننا بأن هناك رفقاء قد لا يجدون ما يأكلون أو يشربون تجب علينا مساعدتهم... بعد ذلك يكون الاجتماع التالي في مكان آخر تحسباً لأية ملاحقة.

ومن مآثره أيضاً، وقد تعلمتها منه حين خلفته في المنفذية، أنه كان يطلب منا الذهاب إلى بيوت القوميين لدراسة أحوالهم المعيشية والاجتماعية وكيف هي علاقاتهم مع جيرانهم وأقاربهم، وهل أولادهم في المدارس وإذا كان الجواب لا فما هي الأسباب؟ وتبين لنا وجود مجموعة من العائلات الشامية الذين هُجّروا في أعقاب حادثة اغتيال المالكي، وعدد منهم من جنوب سوريا (فلسطين) يقطنون خارج المخيمات، وبعضهم كان معيلهم في السجن نتيجة اشتراكه في محاولة انقلاب 1961، ومعظمهم لم يحملوا الجنسية اللبنانية لكي يسجلوا أولادهم في المدارس الرسمية. ولم يكن لدى الأهل الإمكانات المالية للتسجيل في المدارس الخاصة. وبعض هذه العائلات كانت تنقصها القدرة على شراء المواد الغذائية والكسوة الكافيين. وللتصدي لهذا الوضع والقضاء عليه، كان الرفيق جوزف يطلب من أعضاء الهيئة ومن بعض الرفقاء الميسورين القيام بحملة تبرعات والعمل على مشاريع صغيرة قصيرة الأمد لتمويل نظارة المالية. وبهذه الطريقة لم يبقَ ولد خارج المدرسة، ولم تبقَ عائلة خارج قدرتها على دفع أقساط المدرسة وشراء الكتب والكسوة وحتى المواد الغذائية. ولا أنسى أيضاً أننا عندما ندخل أحد بيوت القوميين كان أول ما يتوجه إلى الثلاجة بحجة شرب الماء، بينما كانت غايته الحقيقية أن يرى بأم عينه إن كان لدى هذه العائلة ما تأكله أم أنها بحاجة لإدخالها في برنامج المساعدات التي كانت توزع من حين إلى آخر .

والشيء المهم أيضاً أنه ما كان ليهمل العمل الثقافي وتثقيف القوميين الاجتماعيين، فكان يحرص على عقد ندوات ثقافية في المديريات تتوسع في شرح العقيدة وما كتب عنها وحولها من قبل القوميين أو غيرهم. كما كان يطلب طباعة الكتب الحزبية وتوزيعها على مكاتب المديريات لإعارتها لبعض الراغبين في الاطلاع على فكر الحزب، ومن ثم بيع الجزء الأكبر منها إلى جميع القوميين. والحقيقة أنها كانت تحقق أرباحاً جيدة ساعدتنا في تغطية جزء كبير من المساعدات التي كنا نقدمها للقوميين المحتاجين .

في الختام، ومهما تحدثنا عن الرفيق المناضل جوزف رزق الله، فإننا لن نوفه حقه. فعلى الرغم من أنه كان مصاباً بقصور في القلب، وكان الخطر يرافقه في كل لحظات حياته، فإنه لم يكن يعرف الراحة بل يوصل الليل بالنهار ولا يهدأ أبداً. وكلمة حق أقولها: لو أن جميع من مرّوا في هذا الحزب كانوا كما كان الرفيق جوزف لا ينشد سلطة ولا جاهاً ولا مالاً بل العمل والعمل فقط من أجل نهضة الأمة وتحقيق غاية الحزب... لكان الحزب انتصر وحقق غايته في الأمة .

مرويات رفقاء رأس المتن - المتن الأعلى

الأمين جميل مكارم من الرفقاء الذين عرفوا الرفيق جوزف، وكان ناموس منفذية المتن الجنوبي (شاملة المتن الأعلى) عندما كان الرفيق جوزف منفذاً عاماً للمتن سنة 1965. يقول: إنني مدين للرفيق جوزف ببناء شخصيتي الحزبية وصقل تصرفاتنا لتنطبق مع فكرنا القومي. وكم كان يعلمنا ويدربنا على ذلك، وكان دائماً قدوتنا. وأذكر يوم كان نجيب صالحة مرشحاً للنيابة ذهبت أنا ووفد كبير من العائلة (آل مكارم) لزيارته، وصادف وجود الرفيق جوزف هناك فسلمت عليه مع الوفد. بقيت الحادثة في ذاكرته حتى لقائنا بعد فترة، فانتحى بي جانباً وقال لي بأنني قومي اجتماعي وعند الذهاب لزيارة أي مرشح عليّ الذهاب مع وفد الحزب وليس مع وفد العائلة. لقد تميز بشخصية قوية وعسكرية، فكان يصعد للدور الخامس مشياً ولا ينتظر المصعد. وذات ليلة كنا متوجهين للقصيبة فاقترحنا أنا والرفيق توفيق خلف أن نقف لننتظر سيارة لتقلنا بهذا الظلام الدامس. لكنه أمرنا بالمشي سيراً قائلاً لنا: "يمكن أن نصل قبل أن تأتي أية سيارة لتقلنا". وكان على حق بذلك، فقبل وصولنا بقليل مرت سيارة وأقلتنا المسافة الباقية.

ويتحدث الرفيق حسن حليم غزال الذي أقسم اليمين عن عمر ستة عشر عاماً وأمضى أكثر من اثنين وستين عاماً في الحزب، وهو من المشاركين في أحداث سنة 1958 في عاليه دفاعاً عن مقر الحزب مع الرفيق يوسف عبد الصمد في ضهر الوحش حيث كان الأمين كامل أبو كامل يقطن هناك. يقول إنه لم يتوقف عن العمل الحزبي طوال الفترة حتى بعد الانقلاب إلا لمدة شهر واحد فقط هو

شهر كانون الثاني. وكانت الاجتماعات الدورية رسمية وتُفتتح باسم سورية وسعاده وتُعقد في العراء أحياناً. وكان في المديرية العديد من الشبان الرفقاء الأقوياء والمخلصين للنهضة، وكان همنا الوحيد في الاجتماعات مناقشة كيفية النهوض بالعمل الحزبي وإعادة نسج بنية الحزب بعد أزمة الانقلاب وحملة السلطة عليه، حتى أننا أقمنا احتفال الأول من آذار سنة 1962 في منطقة القلعة وهي ضيعة تأتي بعد بتخنيه مباشرة وقبل حمانا. وقمنا بإشعال النار في ذلك الوقت وهو رمز ما زال يرافقنا إلى وقتنا الحالي. وكان معنا الرفيق فؤاد شعبان الذي كنت قد كلفته بالتواصل مع جميع الرفقاء الذين هم خائفون وبعيدون عن الحزب للإطلاع على وضعهم ومتابعتهم. وكان هذا بتكليف مباشر من الرفيق جوزف رزق الله الذي كنت أجتمع به لأطلعه على نتائج السعي والملاحظات وتفاصيل أوضاع الرفقاء. وكان يحثنا على المتابعة أكثر، وأخذ الحذر من ضعفاء النفوس مخافة إضعافنا وتفشيل العمل الحزبي الذي نقوم به. وكان يبلغني بأن المهم نوعية الرفقاء لا عددهم، والسعي للرفقاء المدركين الملتزمين والمثابرين ولمن هو قادر على العطاء. وكان دائماً يصعد سيراً من القصيبة ليلاً للقائي في رأس المتن ليتابع أخبار الرفقاء ويسألني عن أدق تفاصيل العمل الحزبي وماذا سنعمل غداً وبعد غد، وكيف نتواصل مع هذا الرفيق أو ذاك... وغير ذلك من أدق التفاصيل والملاحظات.

وفي أحد الأيام إضطررت لرؤيته في مسألة جد مهمة، وكنت متهيباً لأمرها، والآن لا أذكر تفاصيلها. وكان هو يعمل بمعمل بوظة جيرفي في المكلس كمحاسب. توجهت إلى هناك وسألت عنه، فلمحني وأشار إليّ من بعيد بأن أتبعه إلى مكان مخفي عن الأنظار. قال لي: "إني مراقب هذه الفترة كثيراً ولا أريد أن أسبب لكم المشاكل، فكل من يسأل عني أو يتكلم معي يتعرض للملاحقة من المكتب الثاني". لذلك عملنا سيناريو بأنني أريد أن أفتح محلاً لبيع البوظة، وأنني هناك للإستعلام عن الأسعار وغير ذلك.

ومن الأحداث الدورية التي كانت تمر علينا في ذلك الوقت مداهمات الدرك والجيش لبيوت القوميين لتفتيشها والقبض علينا. ومثلما كان هناك العديد من

الكارهين الحاقدين كان لدينا الكثير من الرفقاء السريين المحبين والأصدقاء الأوفياء المخلصين للحزب الذين كانوا يبلغوننا بكل أمر يتعلق بالوضع. وفي إحدى المرات أتاني حسيب الأعور من قرنايل سيراً إلى رأس المتن ليبلغني بأن الجيش سيقوم الليلة بحملة تطاول بيوت القوميين في رأس المتن والمنطقة. فتوجهت بدوري لمنزل الرفيق وجيه نبّا لأخبره عن الأمر، فصادفت حارس المخفر التابع لرأس المتن خارجاً منه فخاف وشاح ببصره عني. أخبرت الرفيق وجيه بالمعلومة تلك، فقال لي إن الحارس الخاص بالمخفر كان عنده ليؤكد الخبر. قمنا فوراً بتبليغ القوميين، وكان منهم من ينتشر بالأحراش وينام هناك، أو يقصد معمل الحجارة الموجود على طريق رأس المتن حيث يلتجىء عدد من الرفقاء. وكنت أنا والمرحوم والدي نلجأ إلى دير الحرف وننام عند الخالة أم شكري رحمة الله عليها، فكانت تبخر لنا الغرفة وتجهزها. بينما يتوجه حليم نويهض وأنور مكارم إلى منزل أبو معوض وأم معوض وهم أصدقاء لنا من بيت أبو جودة أصحاب محطة البنزين. وكان روكز الأسمر من دير الحرف يقوم بحراستنا كل الليل، وعند الفجر نستيقظ ونتوجه مشياً عبر الأحراش إلى البيت.

أذكر ذات يوم وكان مناسبة عيد الغطاس، كنت ما زلت نائماً بينما سبقني أبي وحليم فجراً إلى الأحراش لاستطلاع الوضع. دخل عليّ روكز قائلاً: ما بك غاطس بالنوم، ألم تسمع ماذا يحدث؟ الجيش دخل دير الحرف! قمت بسرعة إذ كنت نائماً بثيابي، غسلت وجهي وركضت نحو الخارج لأفاجأ بعناصر الجيش. صرخ أحدهم بي: إلى أين؟ فقلت له: إلى الكنيسة للقداس، ألم تسمع الأجراس الآن؟ أبونا يبهدلنا على التأخير. فأشار لي بالمرور. دخلت الكنيسة وتفاجأ الحضور بوجودي وهم يتساءلون ماذا يفعل حسن غزال هنا؟ فلم يكونوا يعلمون أننا نأتي إلى دير الحرف إذ كنا نصعد مساء للنوم ونخرج فجراً إلى الأحراش. صرت أتظاهر بالصلاة أقف حين يقفون وأتمتم حين يتمتمون وأصلب حين يصلبون لحين انتهاء القداس، فناداني الخوري بولس أبو جودة له الرحمة وهو يعرفني جيداً وقال لي: إبقى في الكنيسة وقت ما تشاء حتى ترتاح وعند المغادرة إقفل الكنيسة واعطي المفتاح للحداد الذي يقطن جنب الكنيسة، وهو

من جورة أرصون وأعرفه أيضاً. وهذا ما حدث عندما انسحبت الدورية وارتاح الوضع، ذهبت إلى بيته وأعطيته المفتاح وشكرته وغادرت المكان.

وأذكر أيضاً أن الرفيق جوزف كان يطلب مني في بعض الأحيان استنفار الرفقاء ليلاً. وفي إحدى المرات قمنا بعمل استنفار وهمي لا أحد يدري بذلك إلا أنا ومدرب المديرية الرفيق وجيه، فاستدعينا الرفقاء ليلاً وكان شهر شباط والبرد والمطر في أوجه. وقمنا بمسير ووصلنا إلى منطقة الخرايب التي تقع بين رأس المتن والقصيبة (الحزب اشترى الآن قطعة أرض هناك لبناء مركز) وأتى جميع الرفقاء طواعية. وعند التعداد إفتقدنا أحد الرفقاء، فسألت عنه المدرب فأجاب أنه كان أمامه. طلبت منه أن يرجع للبحث عنه خوفاً من أن يكون سقط على الطريق في هذا الظلام الدامس. بعد قليل رجع المدرب ليخبرني أن الرفيق المفقود موجود بمنزله يتحجج بأن رجله توجعه وأنه سوف يعود للإلتحاق بنا. وبمثل هذه المواقف يمكن ان نقيَم مباشرة الرفقاء الذين قد يسقطون عند أول اختبار.

وفي إحدى المرات دُعينا لاستنفار بليلة ماطرة شديدة البرودة، وأخبرنا الرفقاء أن لدينا مهمة استطلاع ومراقبة ميدانية تدريبية معينة في القصيبة، فمن يريد أن يذهب معنا ومن لا يريد فلا حرج بالإعتذار. وافق الجميع بدون استثناء، وبعد مسيرة بسيطة ألغينا المهمة بعدما تأكدنا من أن جميع الرفقاء سائرون بدون تردد أو تلكؤ.

في الانتخابات اللبنانية سنة 1968 كان الحزب يقوم بدعم المرشحين الذين وعدوا الحزب باستصدار قرار عفو، وأيضاً دعم من كانوا يتبرعون للحزب في فترة الملاحقات. وعلى هذا الأساس اجتمعنا بالمرشح بيار دكاش وكان بلائحة واحدة مع المرشح نجيب صالحة، وعائلتنا لم تصوت إلا لبشير الأعور فنحن نعتبر من أنصاره. ولكن احتراماً لقرار الحزب قمنا بالتصويت لنجيب صالحة هذه المرة فقط. وعندما سألني الرفيق جوزف لمن صوتت؟ أجبته لنجيب صالحة حسب الأوامر مع العلم أنها ليست قناعتي ولا قناعة عائلتي، ولكننا خالفناها هذه المرة. فقال لي أنا غير مصدق وليس ذلك من حقي، ولكني سأفصلك شهراً كاملاً لأنك نفذت القرار عن غير قناعة وخاصة لأنك لا زلت تأخذ الأمور

بالقربى والعائلية حيث أن بشير الأعور قريبنا بالنسب وليس بما تقتضيه مصلحة الحزب... وهي المرة الأولى في حياتي أفصل من الحزب على يد المنفذ العام جوزف رزق الله لسبب الظاهر فقط وليس الباطن والتمني، وليس مخالفة لنظام الحزب. وهي حادثة عالقة بذهني لا أنساها أبداً.

وأذكر أيضاً المحاكمة الأخيرة للرفيق جوزف إذ تم القبض عليه بتهمة تحقير الدولة اللبنانية على أثر رسالة وجهها إلى كمال جنبلاط. ولكن المكتب الثاني أراد استغلال هذه الرسالة للإنتقام من جوزف والنيل منه، مع العلم أنه تم الترخيص للحزب وانتهت جميع الملاحقات وأفرج عن القوميين من جميع السجون وحصلوا على جوازات سفر بعد أن كان غير مسموح لهم بذلك... إلا الرفيق جوزف فكان ممنوعاً من الاستحصال على جواز. وعندما أرسل رسالة لجنبلاط وأخبره عن الوضع وأن هذا غير مقبول فهذه الدولة مزرعة، حوّل جنبلاط الرسالة إلى مدير الأمن العام لإصدار الجواز. ولكن الأمن العام اعتبر ذلك تحقيراً وإهانة للدولة اللبنانية، وتم اعتقاله ومحاكمته بسببها. توجهنا أنا وجيزيل إلى مكتب الدكتور بيار دكاش وإلى عدد كبير من النواب والمسوؤلين لمتابعة الموضوع، فطمأنونا إلى أنه لن يكون هناك حكم بل إخلاء سبيل مع دفع كفالة. وعند موعد المحكمة أخذنا أنا وجيزيل مبلغاً مضاعفاً للمبلغ المتوقع للكفالة. أحضرت الشرطة العسكرية جوزف إلى المحكمة. وبعد انتهاء المرافعات وقبل موعد الحكم رآنا موجودين هناك وقمنا بطمأنته إلى أن الوضع جيد وسيخرج بكفالة. ثم فوجئت بعنصر من الشرطة العسكرية يقترب مني ويقول لي إن رفيقك السجين يطلب منك سيجارة لاكي سترايك مشتعلة، يريد أن يدخن. وكان جوزف ينظر من بعيد ويضحك. وضحكت أيضاً متسائلاً كيف سيدخن داخل المحكمة؟ وعندما انتهت المحكمة وصدر الحكم بالسجن، تفاجأنا وتفاجأ جوزف أكثر خاصة لأننا طمأناه بأنه لن يتم الحكم بل سيكون إخلاء سبيل مع دفع كفالة. انزعج كثيراً من الموضوع وأثر على نفسيته لا سيما وأن الحكم الذي أصابه هو حكم ظالم وغير منصف أبداً. لم أر الرفيق جوزف منفعلاً كما كان منفعلاً بعد إصدار هذا الحكم.

رافقناه أنا وجيزيل من المحكمة العسكرية إلى سجن الرمل، واستطعنا إقناع آمر السجن هناك بأن السجين مريض بالقلب ويحتاج إلى عناية صحية خاصة. وفعلاً تم نقله إلى مستوصف السجن. وعندما هدأ جوزف قام بعمل زينة من الخرز هدية إلى ابنته أليس التي ستكمل الثمانية أعوام بعد أسبوعين. لكنه توفي قبل عيد ميلادها. وأذكر أنه في أحد اجتماعات هيئة المنفذية في منزل الرفيق حليم نويهض، وكان الرفيق محمد غملوش منفذاً عاماً حينذاك، أتى من يبلغنا بأن الرفيق جوزف رزق الله قد توفي في المستشفى، فختمنا الاجتماع وتوجهنا مباشرة إلى القصيبة حيث كان قد وصل الجثمان. ونظم الرفقاء مأتماً حزبياً مهيباً وحاشداً، وشارك الأمين الدكتور عبدالله سعادة بتأبينه وإلقاء كلمة الحزب.

يتحدث الأمين نبيل أبو نكد قائلاً: كنت أتردد أنا وعدد من المواطنين إلى منزل الرفيق جوزف لأخذ دروس بالتوعية الاجتماعية وحلقات إذاعية، لحين قدمت طلب انتماء للحزب أنا وعدد من الأشخاص بينهم عارف عبد الصمد وسعيد هاني ونبهان نبهان في العام 1966. مرّت فترة طويلة من دون أن يأتي الرد بشأننا سلباً أو إيجاباً. وذات يوم جاء الرفيق جوزف إلى منزلنا عند الساعة الثانية عشرة ليلاً، وكنت أنا وأخي نائمين في الغرفة المطلة بنافذتها على الطريق. فإذا بي أسمع صوت الطرق على الباب، فاستيقظت والدتي وأخذت تتحدث إلى الرفيق جوزف الذي عرفته من صوته. هرعت إلى الخارج لاحقاً به وهو يسير مبتعداً، وقلت له: أستاذ جوزف، أنا أنام في تلك الغرفة ويمكنك عند احتياجي أن توقظني بالقرع على تلك النافذة. فأجابني بكل حزم: يا إبني نحن لا ندخل البيوت إلا من أبوابها وليس من النوافذ والشبابيك. فإذا كنت تريد الحزب بدّل ملابس النوم التي ترتديها واتبعني أما إذا كنت لا تريد الحزب فابقى في حضن والدتك! إستأت للوهلة الأولى من قساوة الجواب، ولكن ذلك لم يمنعني من اللحاق به بعد تبديل ملابسي وأنا أفكر بالدافع من وراء جوابه وما القصد منه، هل يقصد بأن أكون أكثر رجولة بالمواقف خصوصاً بما أنا مقدم عليه. هذا ما راح يجول في فكري وقتها.

كان برفقته الرفيق منصور نعيمة، فأخذاني وحيداً إلى دير الحرف وتركاني هناك بالحرش وحيداً في موقع يطل على الشارع. وفي تلك الفترة لم يكن هناك إنارة ولا حياة أو سكن قريب، فقط الليل الدامس يقطعه بين فترة وأخرى مرور سيارة. وطلبا مني أن أراقب وأسجل أنواع السيارات التي تمر وأدوّن أرقامها إذا أمكن ذلك. شعرت بالخوف لكنني لم أستطع الرفض، وكان الوقت بعد الساعة الواحدة ليلاً. وبعد مرور ساعة أو أكثر من الجلوس والانتظار وحيداً بهذا الليل، عادا إليّ ليبلغني الرفيق جوزف أنه تم قبول طلب إنتمائي. وكان ذلك عبارة عن امتحان لي لدراسة مدى انضباطي ونظاميتي قبل انتمائي للحزب. وكانت هذه الحادثة وأنا بذلك العمر بمثابة الدرس لي والحافز لأتعلم أكثر من هذا الرجل، ولم تدفعني للإبتعاد بوقتها أو الانسحاب بل أكسبتني الدافع للنشاط والمثابرة أكثر، خصوصاً بعد التفكير بأن قدومه لمنزلي وفي تلك الساعة المتأخرة من الليل لشخص بعمره، والهدف منه كبير ويجب التعلم منه... كلها كانت الدافع الأساسي كي أتعلق أكثر بالحزب وبالرفيق جوزف.

إنتميت إلى الحزب في الأول من آذار سنة 1967 بعد أن أشرف الرفيق منصور نعيمة على إدائنا القسم في منزل الرفيق صياح هاني الذي كان مسافراً وقتها. وكان الرفيق جوزف يقدم لنا كل المعنويات المطلوبة ويدربنا ويدرسنا كيفية التعاطي مع الناس وبناء علاقات اجتماعية مع المحيط والمواطنين. بعد ثلاثة شهور على انتمائي للحزب، إتخذ قراراً بتعييني مديراً لمديرية رأس المتن مع العلم أن هناك الكثير من الرفقاء أقدم مني أمثال الرفقاء حسن غزال ورياض غزال ووجيه نبّا وغيرهم. إستأجرنا مبنى للمديرية، وكان ينقصنا المال للمفروشات وغير ذلك من أمور. توجهت إلى حسن مكارم رحمة الله عليه وعرفته بنفسي وشرحت له الوضع وكشفت عن حاجتنا للمال. وعلى الفور أعطاني شيكاً بـ 350 ليرة لبنانية، فقمنا بشراء الكراسي والطاولات وكل ما يلزمنا من احتياجات، وتم فتح مركز المديرية.

بعد فترة جاءني الرفيق جوزف وطلب مني تنظيم احتفال بمناسبة الأول من آذار. وكنت أنا لا أناقشه أبداً واعتبرت الطلب أمراً حزبياً. سألته عن المكان،

فقال لي إنه سيحاول تأمين منزل عارف نويهض. وطلب مني أيضاً تحضير كلمة لإلقائها في الاحتفال. هنا وقعت بالحيرة والخوف، فلم أكن قد ألقيت خطبة سابقاً ولا خبرة لي بنص الكلمات. ومع ذلك لم أتذمر من الموضوع، فالأمر أمر ولا نقاش في ذلك. قمت بقراءة العديد من النشرات والمقالات الموجودة، وصغت كلمة هي عبارة عن صفحتين تقريباً. ولست أدري ما إذا كنت لا أزال محتفظاً بها للآن. وقبل الحفل أعلمت الرفيق جوزف بجهوزيتي وسألته إذا كان يريد أن يطلع على الكلمة لأنه حسب علمي فإن أية كلمة تلقى على المواطنين يجب أن تعرض على المسوؤل للإطلاع قبل ذلك. قال إنه لا يريد أن يرى الكلمة، لكنه أضاف: "الله يساعدك إذا أخطأت"! وتم الاحتفال حسب الترتيبات، وكان ناجحاً تماماً إذ غصَ منزل الرفيق عارف بالحضور الكثر. وألقيت الكلمة وأنا متهيب من الوضع. وعند انتهاء الاحتفال سألته عن رأيه بالكلمة، فربت على كتفي مبتسماً بدون أي تعليق. وهذه من الأمور التي يتميز بها الرفيق جوزف، وتعطي دفعاً معنوياً للرفقاء.

ومنذ ذلك الوقت إنطلقت مسيرتنا الحزبية، ليس فقط على أساس أننا مدركون للفكر والوعي والثقافة الحزبية بل أيضاً الاتجاه لنكون قدوة في المجتمع من خلال التصرف مع المواطنين والممارسة الصحيحة لهذا الفكر. فالرفيق جوزف كان قدوة لنا ولغيرنا من الرفقاء، ودرّبنا كيف نكون قدوة لغيرنا أيضاً. وكثيراً ما كنت أسمع من أخي وغيره من الأشخاص أنهم كانوا يصادفونه دائماً وهو يتنقل في الليالي سيراً على الأقدام عند المونتيفردي أو زندوقة مما يعكس مدى النشاط والمثابرة والكفاح الذي يتمتع به الرفيق جوزف. وأذكر كذلك أنه كان يدعونا للاجتماع في منطقة نائية تدعى (شير الهزاز) بعد منتصف الليل لنقرأ الصادرات الحزبية على ضوء الشمعة، ومن ثم نقوم بتمزيقها وحرقها مباشرة لأن الحزب كان لا يزال ملاحقاً.

ويروي الرفيق وسيم سري الدين أن المنفذ العام الرفيق جوزف إتصل به وكان ما زال مواطناً في السادسة عشرة من العمر لإحياء العمل الحزبي في

بزبدين بعد تعطل المديرية في فترة ما بعد الانقلاب. وقام وسيم بدعوة حوالي ستين مواطناً لحلقات استمرت خلال الصيف كان يقوم بها الرفيق جوزف ويحضر معه الرفيقان محمد غملوش وإدمون صادر. وكانت هذه الحلقات بمنتهى النظامية وأدت إلى انتماءات عديدة أحيت مديرية بزبدين.

وخلال الفترة من 1965 إلى 1969 كان الرفيق جوزف منفذاً عاماً في معظمها، وقد اعتمد التشدد في النظام والوضوح العقائدي والسوية الأخلاقية العالية لمقارعة المكتب الثاني وضغوطه والتي أدت إلى سجنه سنة 1966 بسبب مسوؤلياته الحزبية. ويروي الرفقاء أن الوضع بعد الانقلاب لم يكن يسمح للقوميين بوضع صورة الزعيم في صدارة بيوتهم. لكن جوزف لم يقبل أن يستبدل بها صوراً لهذا الزعيم الإقطاعي أو ذاك الزعيم الطائفي، فكان ينتزعها بنفسه من بيوت من ضَعُفَ من القوميين او حاول التستر على إيمانه.



مرويات الرفيق ريمون سعد الله

بدأت علاقتي المميزة والقصيرة مع الرفيق جوزف رزق الله في سنة 1967. فقد وصلني بواسطة إبنة عمي نعته لي بـ "الطاووس". استفزني الموضوع وقررت أن أدافع عن نفسي وأتوجه إليه مباشرة. قصدته حانقاً، لكن ما أن وصلت إلى الباب الخارجي في بيت القصيبة حتى استوقفتني ضحكته المميزة الرنانة التي طالما كانت تدخل البهجة إلى قلبي في جميع اللقاءات اللاحقة. استقبلني استقبال الرجال وهو في عمر والدي، ولم يسألني "شو بدك عمو؟"، بل دعاني إلى الجلوس في تلك الجلسة التي ربطتني بفكر سعاده حتى اليوم بوجود الرفيقين محمد غملوش وجميل مكارم.

كان الرفيق جوزف صديق والدي في القصيبة. وفي سنة 1949 دعاه لحضور لقاءات حزبية، لكن والدي تردد ولم يلبِ تحت ضغط والدتي حينذاك. وقد تكررت اجتماعاتي مع الرفيق جوزف لمدة سنتين وهو يؤخر الموافقة على قسمي اليمين معلناً أني لست جاهزاً بعد، حتى دُعيت لإداء القسم من قبل مدير مديرية رأس المتن الرفيق حسن غزال. وكان الرفيق جوزف شاهداً على قسمي، وعندها أعلن ما كان يجول في نفسه: "رفيق ريمون انتظرت عشرين عاماً من سنة 1949 حتى سنة 1969 أي من مولدك الأول إلى مولدك الثاني".

وفي لقاءاتي القليلة معه وهو مُمدد على الأرض بسبب أوجاع ظهره، لا أزال أذكر الكلمات التي رافقتني في حياتي: "أنت سوري قومي اجتماعي وممنوع الغلط. أنت تمثل فكر سعاده". ظل هذا القول يتردد في داخلي، وعندما اعتقلت من قبل الكتائب في الصيفي خلال الحرب الأهلية سُئلت إلى أي حزب أنتمي؟

أجبت محققهم: "سجّل أني سوري قومي اجتماعي".

كان آخر لقاء لي معه عندما دعتني الرفيقة جيزيل لحضور جلسة المحاكمة في المحكمة العسكرية في نيسان سنة 1970. وعند دخوله القاعة نظر صوبي مردداً "هذه الدولة مزرعة"! وعبارته هذه كانت سبب تلك المحاكمة.

كان رحب الصدر وصاحب ضحكة مميزة، محاوراً لبقاً لكنه قاطع كالسيف في ما يختص بالحزب عقيدةً ونظاماً، محاسباً قاسياً للجميع بمن فيهم نفسه.

مقتطفات من وصية جوزف رزق الله
المعدلة في 20/ 3/ 1965

أنا الموقع بذيله جوزف رزق الله السوري والحامل تذكرة نفوس الجمهورية اللبنانية والمقيم في الغبيره قرب بيروت شتاءً وفي قريتي القصيبة صيفاً - وأنا بكامل الأوصاف المعتبرة شرعاً من صحة العقل وسلامة الجسم أقرر ما يأتي:

لما كان لا بد للإنسان الفرد أن يموت تاركاً هذا المجتمع عاجلاً أم آجلاً، ولما كان الرجل الحكيم العاقل هو الذي يدبر أموره الشخصية وأمور من يهمه أمرهم من أفراد عائلته بما يتفق وقيم الحق والعدل والخير حتى إن أصبح عدماً لن يحق لأحد أن يعتدي على من خلّف وراءه، ولما كنت أدرى الناس بتدبر أمر زوجتي وأولادي حتى لما بعد موتي، ولما كنت أتمنى ألا يحاول أي إنسان أن يشيعني إلى مثواي الأخير بموجب طقوس لم أمارسها وأنا حي أرزق، لذلك قررت تنظيم وصيتي على الوجه الآتي وهي تلغي وصيتي تاريخ 1962 التي يجب أن تعتبر وكأنها لم تكن.

أولاً: لما كنت سورياً قومياً اجتماعياً وليس للمذهب المذكور في تذكرة نفوسي اللبنانية أية قيمة في نفسي، ولما كنت لا أؤمن إلا بحقيقة هذا الشعب الذي أنا منه وله، ولما كانت عقيدتي الوحيدة هي العقيدة السورية القومية الاجتماعية وإني أجاهر بها اليوم كما فعلت دوماً، لذلك أطلب أن أدفن بدون مراسم ولا طقوس ولا شموع ولا كهنة ولا صلوات ولا أي شيء يمت بصلة إلى المذهب المسيحي أو إلى أي مذهب غيبي آخر.

ثانياً: أطلب من أولادي ومن منفذي وصيتي أن أنقل من مكان وفاتي إلى مثواي الأخير في مقبرة العائلة في القصيبة سلوكاً لأقصر طريق مع تحاشي تام عرض الجثة في الشوارع دون أي لزوم وعرقلة السير ومصالح المواطنين.

ثالثاً: تأكيداً للفقرة الأولى، أطلب من زوجتي وأولادي ألا يدعو أي رجل دين لمرافقتي إلى مثواي الأخير إلا أولئك الذين تربطني بهم مودة أو صداقة أو عطف على أن يسيروا بين المواطنين، وأطلب من زوجتي وأهلي أن يحترموا إرادتي هذه.

رابعاً: إنني أقيم لجنة تكون وصية على من يبقى قاصراً من أولادي بعد وفاتي، وتتألف هذه اللجنة من:

أ - ابنتي جيزيل

ب - أي ولد من أولادي يكون قد بلغ السادسة عشرة من عمره حين وفاتي

ج - الرفيق فارس سليم فرح من فرن الشباك

د - الرفيق شفيق راشد من قب الياس

هـ - الرفيق إدمون ملحم حايك من بيروت

خامساً: لقد أوصيت لجميع أولادي بالتساوي الكلي المطلق بكل ما أملك من ثابت ومنقول أكانت له قيمة مادية أم لم تكن يتصرفون به مدة حياتهم لا يعارضهم به معارض.

سادساً: أوصي إلى جميع أولادي المطلق بكل ما لدي من ديون أو تعويض لدى أي كان من الأفراد أو المؤسسات.

سابعاً: إذا احتاجت اللجنة الوصية إلى الانفاق على القاصرين من أولادي يحق لها أن تبيع جميع ما تشاء مما يعود شرعاً للقاصرين بما فيها الأملاك دون إذن المحكمة.

ثامناً: أوصي جميع أولادي بتعهد والدتهم زوجتي بالتساوي المطلق وأن يؤمنوا لها السكن والمأكل والمشرب والملبس وجميع حاجاتها التي تليق بها، وكل من يتلكأ عن القيام بواجبه هذا وهو قادر عليه يكون محروماً له من الإرث وعلى بقية الأخوة التعاون لحرمانه لا فرق في ذلك بين أنثى أو ذكر.

تاسعاً: أقمت منفذة لوصيتي لجنة من الرفقاء الثلاثة الواردة أسماؤهم في الفقرات ج و د وهـ من البند الخامس التي يجب أن تتخذ قراراتها بالأكثرية وفي حال تعادل الأصوات يكون صوت الرفيق راشد المرجح.

عاشراً: في حال قيام أي مانع دون قيام أحد الرفقاء أو أكثر من المنفذيين لوصيتي هذه يستعين الرفيق الباقي أو الرفيقان الباقيان بمن يشاء من القوميين الاجتماعيين على شرط أن يكون من السوية الأخلاقية نفسها التي للأعضاء الأصليين.

إحد عشر: أطلب من أولادي أن يُلف نعشي بعلم الزوبعة وأطلب من زوجتي وأهلي احترام رغبتي هذه.

إثنا عشر: أطلب أن تكون ورقة النعوة مطابقة تماماً للنموذج المرفق ولا أسمح بأي تعديل فيها إلا إذا كان طبع الزوبعة على الورقة يؤدي إلى مضايقة أو أذى أحد من الناس.

ثالث عشر: الممتلكات المنقولة والتي ليس لها قيمة مالية توزع بالتساوي على جميع الأولاد ذكور وأناث بما يتفق والحق والعدل والذوق. وأعني بهذه الممتلكات مذكراتي وحساباتي ومكتبتي ومجموعة الطوابع ورسائلي ومجموعات الجرائد ومجموعات الصور وكل أغراضي الشخصية.

الشاهد الشاهد التوقيع

فريد شقير مرسال غانم جوزف رزق الله 20/ 3/ 65

الفرد زائل والمجتمع خالد

زوجة الفقيد: ليلى اللاتي رزق الله

أولاده: جزيل (وزوجها .... وأولادهما ....)

: سعادة (وزوجته .... وأولادهما ....)

: ناصيف (وزوجته .... وأولادهما ....)

: أليس (وزوجها .... وأولادهما ....)

شقيقاه: رزق الله وزوجته نهاد كساب وأولادهما جوزيان وإيليان.

: سامي.

شقيقاته: أفلين وزوجها وأولادهما.

: ماري وزوجها.

: جوزفين وزوجها وأولادهما.

: جان وزوجها رياض الجمال وأولادهما رلى ورندة.

وعموم عائلات رزق الله ولاتي وجمّال وكساب وأسمر ينعون إليكم بمزيد الأسف واللوعة فقيدهم المأسوف عليه: جوزف ناصيف رزق الله.

المتوفي بتاريخ (الأرقام العربية) وسيحتفل بنقل جثمانه من منزله في القصيبة في تمام الساعة الخامسة من يوم (بالأرقام العربية) ليدفن في مدفن العائلة الخاص.

لكم من بعده العزاء وللأمة البقاء

قد تحصل تغييرات في التركيب العائلي في الفترة من السنين الباقية لي، لذلك ليس من الضروري الاحتفاظ بجميع هذه الأسماء الواردة أعلاه، ولكنني لا أرغب في زيادة شيء عليها. كما أني أطلب أن تراعى في طبع الورقة القواعد المتبعة من قبلي أي أسماء أولادي بالنسبة لعمرهم وليس بالنسبة لجنسهم، وألا تظهر أسماء أصهاري الأجنبية. أرغب في استبدال الأكاليل والصلبان بقيمتها لعائلات الشهداء القوميين إذا كان ذلك ممكن التحقيق.

التغطية الصحفية للوفاة والمأتم


الشمس

٢٥ قرشا

٨ صفحات

ASH-SHAMS- Pro.Dr KAMAL E. GORAYEB 8 - 4 - 1970 رقم العدد ٢٢٦٦ الاربعاء ٨ نيسان ١٩٧٠

قصّة رسالة جوزيف رزق الله التي أدخلته الى السجن ... والقبر

توفي في احد سجون العاصمة اللبنانية – بيروت – السيد جوزف رزق الله اثر نوبة قلبية اصيب بها وقد سلمت جثته لذويه ·

هذا وتفيد المعلومات التي حصلت عليها الشمس بأن السيد جوزف رزق الله ادخل السجن بسبب كتابته رسائل الى مسؤولين بعد ان رفضت السلطات المختصة اعطاءه بسبور – جواز سفر بسبب انتمائه الى حزب سياسي غير مرخص له ·

– البقية على الصفحة ٣ –

وتضيف المصادر بأن رجال الامن اعتقلوا السيد رزق الله بعد ان استلمت المراجع المختصة الرسالة المذكورة التي يشرح فيها وضعه الراهن بلهجة استنكارية شديدة·

وبعد التحقيق معه أحيل للقضاء فصدرت بحقه أحكام تقضي بحبسه مدة شهر ، ولكنه توفي قبل اتمام هذه المحكومية ونقلت جثته الى مسقط رأسه القصيبة – رأس المتن – خلال اليومين الماضيين وتم دفنها بحضور ما يقارب الثلاثة الاف شخص ·

جريدة الشمس نيسان 1970



صوت برمانا
لبنانية مستقلة
صاحبها ومديرها العام: الكسندر رزق الله الأشقر
الادارة والتحرير والمطابع
برمانا - لبنان
هاتف ٩٦٠٠٧٠
السبت ٢٥ نيسان ١٩٧٠ - العدد ٢٧ - السنة ١١

انتا جنود يرتقون بقوة عظيمة هي قوة الحق الذي فيهم انتا بهبة تحارب في جميع الجهات، لان حربها هي حرب عز هذه الامة، حرب انتصار الامة على الغايات الاجنبية والغايات الداخلية التي تعمل على اذلال الامة التي تأبى الذل!

وهذا العز الذي تنهض به هو عز توزعه حتى على الذين يسعون ليل نهار لاذلال هذه النهضة التي لن تذل والتي ستُرجعهم الى العز م ايضاً عصاً عنهم!

سواء أفهموا أم أساؤوا فهمنا، فانا نعمل لحياة ولن نتخلى عنها.

سعاده

ألوف المناضلين يشيعون رفيق النضال جوزف رزق الله

شيعت بلدة القصيبة يوم الاحد الاسبق احد ابنائها المخلصين الذين نموا في تربة جبلنا الشامخ فنهلوا المحبة من صفاء مياهه، ودفأوا بحرارة الطموح، والصمود من الايمان العميق العامر في صدورهم.

الفقيد جوزف رزق الله فرع من غصون شجرة الحياة التي حبلت ارض وطننا طويلاً بها فاذا نفحة من حق وخير وجمال تذيب الجليد عن سطحها، فتروي دماً طاهراً وتشق الارض معلنة بدء حياة جديدة لشعب عريق اصيل وتطلع الشجرة الى النور فاذا بشعاعاتها تخترق جدار الصمت والظلمة وتعلن حربها على الجهل والانانية...

شباب اوفياء للارض التي حطتهم والشعب الذي يستعدون حمويتهم منه التقوا في وداع احد هم، فاحتشدوا صفوفاً بدقة النظام.

اشترك في تشييع الفقيد جمهور غفير من القرى المجاورة ونواب المنطقة.

افتتح التأبين الاستاذ حافظ الصايغ بكلمة اشاد فيها بحياة الفقيد النضالية وبروحه الوطنية وما قال:

... جوزف رزق الله استمد القساوة والعطاء من هذه الارض، والصفاء من ينابيعها.

وستبقى صورة كل بطل من ابطالنا يسقط في طريق النضال ماثلة في وجداننا وفي ضميرنا لتكون نسوراً، عين لهم في الشمس وجناح على الآفاق، لا يعرفون الا الابتسام حتى في ساحات الموت حاملين اعظم صبر لاعظم انتصار في التاريخ.

ثم تكلم الاستاذ كامل حسان والدكتور عبد الله سعاده.

كلمة الدكتور عبد الله سعادة



كلمة الأستاذ كامل حسان

تأبين جوزيف كما صدر في جريدة صوت برمانا - السبت 25 نيسان 1970

ملاحقات وأحكام قضائية

1- اعتقال سنة 1949 بعد الثورة الأولى.
2- صدور قرار بالحبس 6 شهور وهو ما زال في السجن.
3- الاستدعاء للتحقيق بسبب "المعهد اللاسلكي العسكري لعمدة التدريب" وتواريه في الشام.
4- في 7/ 1/ 1950 أعتقل في صوفر بموجب البند 2 أعلاه.
5- ملاحقة قضائية بسبب خطف عيسى سلامة واعتقال في أواخر 1957
6- مذكرة توقيف بتهمة العمل لصالح حزب محظور في سنة 1958.
7- اعتقال بعد الانقلاب في أواسط 1962.
8- اعتقال في سنة 1963 بسبب تحريك النساء بشان الأسرى.
9- اعتقال في شباط 1964 بوشاية من (ج. ح.) كونه مسؤول العمل السري لحزب ممنوع.
10- اعتقال في سنة 1965 بسبب "الشقة" والانتماء لحزب ممنوع.
11- اعتقال في سنة 1966.
12- اعتقال في سنة 1967.
13- الاعتقال الأخير في آذار سنة 1970 ووفاته في المعتقل.

